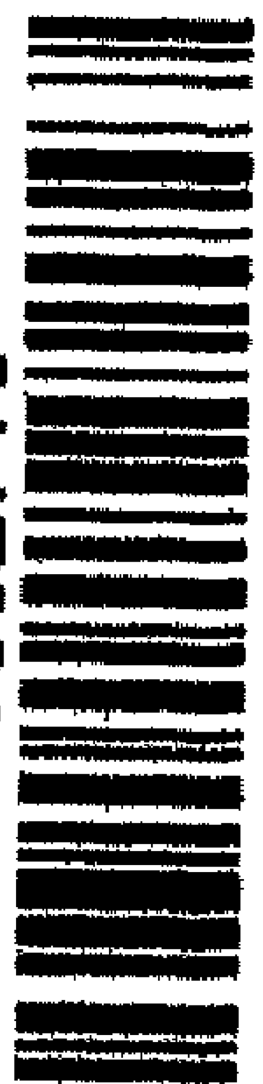
مسرحيات شكسبير

جامعة الدول العربية
الإدارة الثقافية



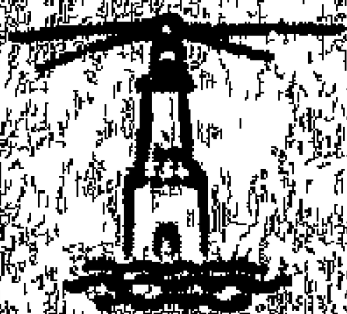




تشارد الثالث

ترجمة

الدكتور عبد القادر القط



دار المعارف

مسْرحيَات شكسْبير

جامعة الدول العربية
المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - القاهرة

رتشارد الثالث

ترجمة

الدكتور عبد القادر القط

مراجعة

الأستاذ حسن محمود   الأستاذ إبرهيم زكى خورشيد

الطبعة الثانية

دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

مقدمة

يمكن أن تعد مسرحية رتشارد الثالث من الناحية التاريخية تتمة للأجزاء الثلاثة من مسرحية هنرى السادس ، فهى تبدأ من حيث ينتهى الجزء الثالث لتلك المسرحية ، وتصور ختام الصراع الطويل بين أسرتى لانكستر ويورك الذى بدأ في عهد هنرى السادس وانتهى بمقتل رتشارد الثالث واستيلاء هنرى السابع من أسرة لانكستر على الحكم . وقد تزوج هذا الملك إليزابث سليلة أسرة يورك . فوضع حدا للصراع بين الأسرتين وجمعهما فى سلالة واحدة .

وقد قام رتشارد فى مسرحية هنرى السادس بدور كبير ينبئ بما كان فى نفسه من طموح وما جبل عليه من شر . وفى مسرحيتنا هذه نرى كيف رسم خطته الجريئة لكى يحقق طموحه ويصعد إلى العرش . ونرى كيف نفذ تلك الخطة فى إصرار ووحشية حتى انتهى إلى ما يريد .

ومن المرجح أن المسرحية قد كتبت بعد ثلاثية هنرى السادس مباشرة وإن لم يعرف تاريخ كتابتها على وجه التحقيق . على أن مؤرخى أدب شيكسبير يكادون يتفقون على أنها قد ألفت بين عام ١٥٩٣ و ١٥٩٥ . وهناك شك فى نسبة المسرحية إلى شيكسبير . ويرى بعض الباحثين أن دور شيكسبير فيها قد اقتصر على المراجعة والتنسيق وأنها من وضع المؤلفين الذين كتبوا ثلاثية هنرى السادس ، بينما يرى آخرون أنها من تأليف مارلو

وقد تركها ناقصة فأتمها شيكسبير . ومع ذلك فإن هذه الشكوك لا ترق إلى درجة الدليل الحاسم الذى يثبت أن شيكسبير لم يكتب هذه المسرحية بنفسه . ويرى الباحثون أنه إذا صح أن شيكسبير قد قام بدور المراجع لها فحسب فإن مراجعته كانت أكبر من مجرد المراجعة العادية ، فى أسلوبها وبنائها المسرحى ما يوحى بفن شيكسبير فى مرحلته المبكرة .

والمسرحية تعرض مأساة رتشارد بطريقة تحافظ على التقاليد المسرحية القديمة ، ففيها ذلك المصير القاسى الذى تساق إليها معظم الشخصيات ، وفيها من سلطان الظروف والأقدار ما يتحكم فى سلوك تلك الشخصيات . وإذا كنا نتعاطف مع شخصيات شيكسبير فيما يصيبها من مآس فى مسرحياته الأخرى ، فإننا لا نحس بأى عطف نحو رتشارد الثالث فى هذه المسرحية . ذلك بأن المؤلف قد صوره نموذجا كاملا للشر نتتبع مصيره وكأنه نتيجة حتمية لسلوكه وطبيعة شخصيته . فهو شخصية غير إنسانية تنساق فى طريق الشر بأسلوب آلى ليس فيه ما فى السلوك الإنسانى من تطور وتعقد . وهناك مثلا فرق واضح بينه وبين ياجو فى مسرحية عطيل . فرغم ما فى شخصية ياجو وسلوكه من شذوذ ، فإننا لا نملك إلا أن نتقبله وننتفع به لما نلمس فى نفسه من البواعث المعقدة — والعواطف الإنسانية المتضاربة . فى نفسه من الضعف والعقدة والشر والخير والتردد والإقدام ما فى النفس الإنسانية ، وهو لا يمضى فى خطته إلا بعد صراع طويل بين كل تلك العناصر النفسية المعقدة .

ومن هنا نستطيع رغم شره أن نأسى له ونتعاطف معه فى مصيره المحتوم ، أما رتشارد فإننا نراه وقد رسم فى مناجاته لنفسه فى مطلع المسرحية طريقا لم يحد عنه طوال المسرحية رغم ما اقترفه من آثام بشعة ، كانت جديرة بأن تثير فى نفس أى إنسان كثيرا من المشاعر المتضاربة وتدفعه إلى كثير من التردد والتفكير ، قبل الإقدام على اقترافها . وهو من هذه الناحية يوشك أن يكون مجرد نموذج فنى للشر وتجسيما لفكرة الإثم .

لهذا طغت شخصيته على سائر شخصيات المسرحية بما لديها من عواطف إنسانية لأن تلك الشخصيات لم تكن تستمد وجودها إلا بمقدار صلتها به .

ومع ذلك ففى المسرحية كثير من المواقف المؤثرة يرتقى فيها الأسلوب إلى مستوى شعرى عال ، يستمد براعته من براعة رتشارد فى الحديث وقدرته على التأثير ، تلك القدرة التى اتخذ منها سلاحه الأول لتنفيذ طموحه وشره . ولكن هذه البراعة فى الحديث لم تستطع رغم ذلك أن تضفى على رتشارد شيئا من الطابع الإنسانى لأنها لم تكن إلا مجرد وسيلة إلى مآربه الآثمة . . .

عبد القادر القط

أشخاص المسرحية

الملك إدورد الرابع Edward IV

ابنا الملك:
- إدورد أمير ويلز (الملك إدورد الخامس فيما بعد) Edward Prince of Wales
- رتشارد دوق يورك Richard Duke of York

أخوا الملك:
- جورج دوق كلارنس George Duke of Clarence
- رتشارد دوق جلوستر (الملك رتشارد الثالث فيما بعد Richard Duke of Gloucester

ولد صغير للدوق كلارنس

هنري إيرل ريتشموند (الملك هنري السابع فيما بعد)
Henry Earl of Richmond

كاردينال بورشييه (رئيس أساقفة كنتربري) Cardinal Bourchier

توماس روثر هام (رئيس أساقفة يورك) Thomas Rotherham

جون مورتون (أسقف إيلي) John Morton of Ely

دوق بكنجهام Duke Buckingham

دوق نورفوك Duke Norfok

إيرل سرّي (ابن دوق نورفوك) Earl Surry

إيرل ريفرز (أخو الملكة إلزابث) Earl Rivers

المركيز دورست	Marquess of Dorset	(ابنا إلزابث)
اللورد جراى	Lord Grey	
إيرل أكسفورد	Earl Oxford	
اللورد هيستنجز	Lord Hastings	
اللورد ستانلى (ويدعى أيضا إيرل دربى)	Lord Stanley (Earl Derby	
اللورد لوفل	Lovel	
سير توماس فوجان	Thomas Vaughan	
سير رتشارد راتكليف	Richard Ratcliff	
سير وليام كاتسبى	William Catesby	
سير جيمس تيرل	James Tyrrel	
سير جيمس بلونت	James Blount	
سير وولتر هربرت	Walter Herbert	
سير روبرت براكنبرى (رئيس شرطة البرج)	Robert Brakenbury	
كريستوفر إيرزوك (قس)	Christopler Urswick	
قس آخر		
تريسل وبيركلى (سيدان من أتباع ليدى آن)	Tressel and Berkeley	
عمدة لندن ، حاكم ويلتشير .	(Wiltshire)	
إلزابث (الملكة ، زوج إدورد الرابع)	Elizabeth	
مرجريت (أرملة هنرى السادس)	Margaret	

دوقة يورك (أم هنرى الرابع) Duchess of York

ليدى آن (أرملة إدورد أمير ويلز وابن هنرى السادس وقد تزوجت من بعد رتشارد الثالث) Lady Anne

ابنة صغيرة لكلارنس (مرجريت بلانتاجنت) Plantagenet

أشباح من قتلهم رتشارد الثالث .

لوردات وغيرهم من الأتباع — ضابط ومسجل — مواطنون — قتلة — رسل وجنود وغيرهم .

المكان — إنجلترة

الفصل الأول

المنظر الأول

شارع بلندن

(يدخل رتشارد دوق جلوستر)

دوق جلوستر : الآن[1] قد أحالت شمسُ يورك[2]
شتاء أحزاننا إلى صيف رائع .
وثوى فى صدر المحيط العميق
كل ما جثم على بيتنا من سحب .
الآن يكلل غار النصر جباهنا .
ونعلق أسلحتنا المثلومة على الجدران ، للزينة وللذكرى ،
لقد استحالت هجماتنا الصارمة المباغتة إلى اجتماعات مرحة
وزحفنا المروع ، إلى رقص ممتع ،

---

(١) أى توكسبرى بعد وقعة (Tewksbury)

(٢) ورد هذا اللفظ Sonne, Son والرأى عند أغلب الشراح أن شيكسبير فيما يرجح يتلاعب باللفظ ولكنه كان يشير بلا شك إلى شعار بيت يورك وهو « الشمس فى جلالها » وهو الشعار الذى اتخذه رتشارد الثانى إحياء لذكر الشموس الثلاث التى يقال إنها ظهرت فى وقعة « مورتيموز كروس » التى انتصر فيها على بيت لانكستر .

وبَسَط إله الحرب العبوس جبينه المقطب ،
وبعد أن كان يمتطى صهوة الجياد المدرعة
ليلقى الرعب فى نفوس الأعداء الملوعين
غدا يثب خفيفا فى غرفة محبوبته ،
على أنغام العود الممتعة المثيرة ،
أما أنا ، الذى لم أسوّ فى خِلْقة تبيح لى أن أمارس أفانين الحب ،
ولم أخلق لأمتع النظر بصورتى على مرآة حبيبة .
أنا الذى خلق على عجل ، ولم يؤت من جمال المحبين ،
ما يخطر به أمام حسناء مختالة لعوب ،
أنا الذى حُرم اتساق القسمات
وزيفت الطبيعة الخادعة بنيته ،
أنا المشوه المنقوص ، الذى أرسل قبل الأوان
إلى هذا العالم النابض بالحياة ولما يكد يتم خلقه ،
أنا الذى تنبحه الكلاب إذا وقف عليها ،
لما تراه من بالغ عجزه ، وغرابة هيئته ،
أما أنا فلا أجد فى هذا الوقت ، وقت السلم ،
الذى تخفت فيه الأصوات وترق ، شيئا من المتعة أتسلى به ؛

إلا أن أخالس النظر إلى ظلى فى ضوء الشمس ؛
وأتغنى بخلقتى الشائبة .
فلأكن إذن شريرا !
ما دمتُ لا أصلح للحب ،
ولا للاستمتاع بهذه الأيام الجميلة الزاهرة ؛
ولأمنح تلك الأيام ومتعها اللذيذة بُغضى وحقدى؛
لقد رسمت خططى وشرعت فى مقدماتها الخطيرة ،
لأقيم بالنبوءات الفارغة والتشهير ، والأحلام ،
بغضاء مهلكة بين الملك وبين أخى كلارنس .
ولئن صح أن الملك إدورد يبلغ من الصدق والعدل
ما أبلغه أنا من الدهاء والزيف والخديعة ،
فليسجنن كلارنس اليوم ولتضيق عليه المحابس من أجل تلك النبوءة
التى تزعم : أن ورثة إدورد سيقتلون بيد رجل اسمه الأول بحرف الجيم .
ألا فلترسبى أيتها الأفكار إلى قرارة نفسى ،
فها هو ذا كلارنس قد أقبل .
(يدخل كلارنس يحيط به حرس ومعه براكنبرى)
عم صباحاً يا أخى — ما شأن هؤلاء الحراس المسلحين من حولك ؟

كلارنس : لقد شاء جلالة الملك ، حرصا منه على سلامتى ،
أن يعين هذا الحرس ليحملنى إلى البرج .

دوق جلوستر : ولم ؟

كلارنس : لأن اسمى جورج !

دوق جلوستر : وا أسفاه يا سيدى إذ تؤخذ بجريرة لا يدلك فيها .
لقد كان ينبغى له أن يعاقب على ذلك معمدك الذى عمدك ،
أو ترى قد عزم الملك
على أن يعمدك فى البرج ويسميك من جديد ؟
ولكن ما سر هذا الأمر يا كلارنس ؟ هلا أخبرتنى ؟

كلارنس : سأخبرك يا رتشارد حين أعرفه ،
فإنى لأؤكد أن ليس لى به حتى الآن علم .
ولكن يخيل إلى أن الملك يستجيب للنبوءات والأحلام ،
وقد انتقى من بين حروف الهجاء حرف الجيم
وقال إن ساحرة أنبأته أن « جيم »
سيغتصب العرش من أبنائه .
ولما كان اسمى هو جورج يبدأ بحرف الجيم
فقد ظن أننى هو ،
وتلك النبوءات ، وأمثالها من العبث ،

هي التي دعت جلالته فيما بلغني — إلى أن يلقى بي
في السجن .

دوق رجلوستر : عجبا ، إن ذلك لا يكون إلا حين يخضع الرجال
لحكم النساء .
إن من يرسلك الآن إلى البرج ليس هو الملك ،
بل إن زوجه ليدى جراى ، يا كلارنس ،
هي التي تثيره عليك إلى هذا الحد .
ألم تكن هي وأخوها ، ذلك الرجل الطيب النبيل
أنتونى ودفيل ، هما اللذين دفعاه إلى أن يرسل
باللورد هيستنجز إلى البرج ،
فلم يخرج منه إلا اليوم ؟
أي كلارنس ، لسنا بمأمن ! لسنا بمأمن !

كلارنس : تالله ما من أحد بمنجاة من الخطر ،
إلا أقارب الملكة ورسل الليل ،
الذين يذرعون الطريق بين الملك وخليلته « شور » .
ألم تسمع إلى أي أحد
تضرع إليها لورد هيستجنز حتى يطلق سراحه ؟

دوق جلوستر : لقد شكا مولاي اللورد كبير الأمناء إلى « جلالتها »
في ذلة وخضوع فظفر بحريته ؛

ماذا أقول ، يخيل إلى أن خير سبيل نسلكها
لكى نحظى بعطف الملك ،
أن نكون من رجالها ، وأن نرتدى لباس أتباعها ،
فإن الأرملة[١] التى أبلتها السنون وفطرت على الشك والوساوس
قد أصبح لها هى والخليلة ، السلطان النافذ فى الدولة .
بعد أن رفعهما أخونا الملك إلى مرتبة النبيلات .

براكنبرى : معذرة أيها السيدان ،
فإن الملك قد أصدر أمرا قاطعا
ألا يخلو إلى أخيه أحد مهما يكن شأنه .

جلوستر : ولا يهمنا هذا ، فإنك أى براكنبرى
تستطيع ، إذا أردت ، أن تشارك فى كل ما نقول ،
فليس فى حديثنا خيانة أيها الرجل . وإنما نحن نقول إن الملك
حكيم فاضل ، وملكته النبيلة
على كبر سنها — جميلة لا تشعر بشىء من الغيرة .
ونقول إن امرأة « شور » ذات قدم بديعة ،
وشفة كالكرز ، وعين جميلة ، ولسان جد ممتع ،

(١) يعنى الملكة وكانت أرملة قبل أن تتزوج .

وإن أقارب الملكة يُرفعون إلى مرتبة النبلاء .
فما قولك أنت يا سيدى ؟ أتستطيع أن تنكر شيئا من هذا ؟

براكنبرى : ليس لى شأن بهذا يا سيدى اللورد .

دوق جلوستر : ليس لك شأن بالسيدة شور ! ألا فلتعلم أيها الرجل
إنه لخير لمن له شأن بها
أن يفعل هذا وحده فى الخفاء ؛ اللهم إلا شخصا واحدا .

براكنبرى : ومن يكون هذا الشخص يا سيدى اللورد ؟

دوق جلوستر : زوجها يا خبيث ! أو تفضح أمرى وتشى بى ؟

براكنبرى : معذرة يا سيدى إذا سألتك
أن تكف عن الحديث مع الدوق النبيل .

كلارنس : نحن نعرف ما أمرت به — أى براكنبرى — وسنطيع ذلك الأمر .

دوق جلوستر : نحن أشد رعايا الملكة خضوعا واستكانة وقد ، حقت علينا الطاعة .
إلى اللقاء يا أخى — إننى ذاهب إلى الملك ؛
وسأفعل كل ما تشاء ، حتى أردّ إليك حريتك ،
حتى ولو اضطررت أن أنادى أرملة إدورد بيا أختى [1]

---

(١) أخته بزواجها من أخيه الملك كما يقضى العرف الإنجليزى .

غير أن هذا العقوق(٢) الشديد لحق الإخوة
يحزّ فى نفسى أشد مما تستطيع أن تتخيل .
كلارنس : إنى لأعلم أن ذلك لا يرضيك ولا يرضينى .
دوق جلوستر : إن سجنك لن يطول على أية حال ،
وسأخاصك أو ألقى فى السجن دونك ؛
أما الآن فيجب أن تتذرع بالصبر ؛
كلارنس : لا حيلة لى فى ذلك ، إلى اللقاء

(يخرج كلارنس و برا كنبر ى والحرس)

دوق جلوستر : اذهب ، واسلك ذلك الطريق الذى لارجعة لك منه ،
أى كلارنس ، أيها الساذج الأمين . إن لك فى نفسى من الحب ،
ما يحملنى على أن أبعث بروحك قريبا إلى السماء ؛
لو رضيت السماء بأن تقبل مابين أيدينا من قربان !
ولكن من المقبل علينا ؟ أهو هيستنجز الذى أطاق سراحه اليوم ؟

(يدخل لورد هيستنجز)

هيستنجز : طاب وقتك يا سيدى اللورد الكريم !
دوق جلوستر : وطاب وقت سيدى الكريم كبير أمناء القصر

(٢) من الملك .

مرحبا بك فى هذا الجو الطلق
كيف كان احتمال سيدى اللورد للسجن ؟
هيستنجز : احتملته بصبر ياسيدى النبيل كما ينبغى لكل سجين.
ولكنى سأعيش يا سيدى
لأرد الجميل إلى من كانوا السبب فى سجنى .
دوق جلوستر : بلا ريب ، بلا ريب ! وكذلك سيفعل كلارنس ؟
فإن أعداءك بالأمس هم اليوم أعداؤه ؛
وقد ظفروا به كما ظفروا بك .
هيستنجز : لشد ما آسف أن يحبس النسر
وتترك الحدآت وضعاف الصقور ، لتقتنص كيف تشاء .
دوق جلوستر : أثمة أنباء من الخارج ؟
هيستنجز : إن الأنباء من الخارج لا تبلغ فى سوئها مبلغ الأنباء من الداخل .
فالملك مريض واهن القوى قد علته الكآبة والهموم ،
وأطباؤه يخشون على حياته خشية شديدة .
دوق جلوستر : بحق « بولس » القديس إنها لأنباء سيئة !
لقد اتبع نظاما صارما فى الطعام زمنا طويلا ،

حتى هُزِل جسد جلالته هزالا شديدا ؛
إنه لأمر يبعث التفكير فيه على الحزن الشديد .
أين هو ، هل يلازم الفراش ؟

هيستنجز : أجل

دوق جلوستر : اسبقنى إذن وسألحق بك .

(يخرج هيستنجز)

إنه — فيما أرجو — لا يمكن أن يعيش ، ويجب ألا يموت
قبل أن يُرسل جورج إلى السماء على عجل .
فلأدخل الآن لأزيده بغضا لكلارنس ،
بأكاذيب مدعمة أحسن تدعيم بالحجج القوية .
وإذا لم أفشل فى خطتى الماكرة ،
فلن يعيش كلارنس بعد اليوم ؛
وليتغمد الله الملك إدورد ، من بعد ، برحمته ؛
وليترك لى الدنيا لأمرح فيها .
وأتزوج حينئذ صغرى بنات « ورِيك »
ولا على إن كنت قتلت زوجها وحماها ؛
فإن أسرع وسيلة لاسترضائها
أن أصبح لها زوجا وأبا .
وإنى لفاعل هذا ؛ لا بدافع الحب وحده ،

بل أفعله لغاية خفية أخرى ،
لا بد من أن أبلغها بذلك الزواج .
على أن موقفى ، إلى الآن ، كموقف عربه تريد أن
تسبق الحصان إلى السوق ؛
فما زال كلارنس على قيد الحياة . وما زال إدورد
يعيش ويحكم .
ولا يجدر بى أن أحصى أرباحى إلا بعد رحيلهما .
(يخرج)

الفصل الأول

المنظر الثانى

المنظر نفسه — شارع آخــر

(يدخل جثمان الملك هنرى السادس فى حراسة حملة الرماح ، وليدى آن فى ثياب الحداد يحف بها ترسل و بوكلى) .

آن : ضعوه ! ضعوا حملكم النبيل .
إن كان للنبل أن يحتويه كفن .
ودعونى لحظة أنُحْ عليه . وأرثى سقوط
سليل لانكستر المجيد ، قبل الأوان .
أيتها الجثة الهامدة الباردة لملك قديس !
أيها الرماد الكابى من بيت لانكستر .
أيتها البقية من الدم الملكى مالك غاب عنك دم الحياة !
أيحق لى أن أدعو روحك ،
لتسمع نواح آن المسكينة ،
زوج ولدك إدورد ، ولدك القتيل . .
الطعين باليد نفسها التى أصابتك بهذه الجروح !

انظر ! إنى لأصب فى تلك المنافذ التى انطلقت منها حياتك
بلسما من عيونى المجهدة لا غناء فيه .
ألا فلتحل اللعنة على تلك اليد التى صنعت تلك الثقوب !
ولتحل اللعنة على القلب الذى واتته القسوة على فعل هذه الفعلة !
ولتحل اللعنة على دم ذاك الذى أراق منها دمك .
وليكن مصير ذلك الشقى البغيض الذى أشقانا بموتك
أفظع من المصير الذى أتمناه للذئاب بل للعناكب أو الضفادع
أو سواها من الزواحف السامة التى تدب على الأرض .
وإن قدر له أن يوهب الولد ، فليأت ولده سقطا شائها
يرى نور الحياة قبل الأوان ،
ويروع منظره القبيح الغريب أمه
التى كانت تعقد عليه الآمال ،
ويرث ما كتب على أبيه من شقاء !
وإذا قدر له أن يتخذ زوجا

فليكتب لها من الأحزان أكثر مما أصابني بموت
زوجي الشاب وموتك .
والآن فلتأخذوا حملكم المقدس ،
الذي أتيتم به من كنيسة القديس بولس
ولتيمموا شطر تشرتس لمدفنه هناك .
على أن هذا الحمل قد أبهظكم فلتستريحوا ،
بينما أمضي في رثائي لجثمان الملك هنري .

(يدخل جلوستر)

دوق جلوستر : انتظروا يا حملة الجثمان وأنزلوه إلى الأرض .
آن : أي ساحر شرير ذلك الذي أخرج هذا الشيطان ،
ليقف في طريق أعمالنا المقدسة الخيرة ؟
دوق جلوستر : أيها الأوغاد أنزلوا الجثة ، وإلا فبحق بولس القديس
لأحيلن من يعصيني منكم إلى جثة !
حارس من حملة الرماح : سيدي اللورد تنح وأفسح الطريق للنعش .
دوق جلوستر : أيها الكلب الوقح قف حين آمرك ،
وارفع رمحك بعيدا عن صدري ،
أو بحق بولس القديس لأصرعنك تحت قدمي ،
وأطأ بها جسدك ، أيها المتسول ، لما أبديت من وقاحة ،
آن : ماذا ! أترتعدون ؟ هل أصابكم الخوف جميعا ؟

وا أسفاه . ولكنى لا ألومكم فأنتم بشر ،
ولا تستطيع عيون البشر أن تحتمل النظر إلى الشيطان .
إليك عنا يا رسول الجحيم المخيف ،
فليس لك سلطان إلا على جسده الفانى ،
أما روحه فلن تستطيع أن تنالها ! فاذهب .

دوق جلوستر : رحماك أيتها القديسة الجميلة ولا تجعلى الغضب يستبد بك .

آن : اذهب أيها الشيطان القذر بحق الله، ودعنا فى سلام .
فلقد خلقت من الأرض السعيدة جحيما
مليئا بصيحات اللعنة والصرخات المكلومة ،
وإن طاب لك أن تنظر إلى أعمالك البشعة ،
فألق نظرة على ذلك المثال الناطق بمجازرك .
أيها السادة ، انظروا ! انظروا ،
لقد فغرت الجراح من جثة هنرى أفواهها المتجمدة
وراحت تنزف دما من جديد !
ألا فلتخجل ، ولتخجل يا كتلة من الدنس شائهة ،
إن محضرك هو الذى ينفث هذا الدم ،
من عروق باردة جافة لا دم فيها .

إن فعالك الجائرة العجيبة .
تثير هذا الطوفان البالغ العجب .
رباه يا صانع هذه الدماء انتقم لموته !
وأنت أيتها الأرض يا من تشربين هذه الدماء انتقمى لموته ؛
ولتصرع السماء القاتل بصواعقها ،
أو فلتنشق الأرض فى سعة وتبتلعه حيا ؟
كما تبتلع دم ذلك الملك الكريم
الذى صرعته تلك اليد الأثيمة ،

دوق جلوستر : سيدتى ، إنك لا تعرفين شيئا من شرائع الرحمة ، التى تجزى بالشر خيرا ، وباللعنة بركة .

آن : أيها الشرير ، أنك لا تعرف شيئا من شرائع الله أو الإنسان .
وما من وحش خلا قلبه من الرحمة ، مهما بلغت ضراوته .

دوق جلوستر : ولكن قلبى لا يعرف الرحمة مطلقا ، فأنا إذن لست حيوانا .

آن : ما أعجب أن تنطق الشياطين بالحق !

دوق جلوستر : وأعجب من ذلك أن يستبد الغضب بالملائكة .

فلتتعطف سيدتى ، يا من بدت بكمالها فى صورة الملائكة ،
وتأذن لى أن أبرئ نفسى ، بالحجج البينة ، من تلك الآثام المزعومة .

آن : تعطف أنت ، أيها المسيخ ،
وأذن لى أن أسوق من الحجج البينة
ما أرمى به نفسك الرجيمة بالآثام المفضوحة .

دوق جلوستر : يا من يعجز اللسان عن وصف جمالها ،
هبينى شيئاً من وقتك وصبرك لأبرئ نفسى .

آن : يا من يعجز القلب عن إدراك دنسه
لن تستطيع أن تجد عذراً مقبولا إلا أن تشنق نفسك .

دوق جلوستر : ولكنى بمثل ذلك اليأس أدين نفسى .

آن : وباليأس يلتمس لك العذر ،
إذ تكون قد انتقمت من نفسك انتقاماً تستحقه ؛
لما جنيته من قتل من لا يستحق أن يقتل .

دوق جلوستر : أو أقول إننى لم أقتلهما ؟

آن : فلتقل إذن إنهما لم يُقتلا :
ولكنهما الآن قتيلان وبيدك أيها العبد الرجيم .

دوق جلوستر : ولكنى لم أقتل زوجك .

آن : عجبا فهو حىّ إذن ،

دوق جلوستر : كلا ، لقد مات واغتالته يد إدورد

آن : إن فمك الدنس ينطق بالكذب . فلقد رأت الملكة مرجريت

سيفك الغادر يقطر من دمه ،

سيفك الذى صوبته يوما إلى صدرها ،

لولا أن نحاه عنها إخوتك .

دوق جلوستر : لقد أثارنى لسانها البذىء

ذلك الذى ألقى جرمهم على كتفى البريئتين .

آن : لقد أثارتك نفسك المولعة بسفك الدماء ،

التى لم تفكر قط إلا فى المذابح ؛

ألم تقتل هذ الملك ؟ أسلم لك بهذا !

تسلم لى أيها القنفذ ! إذن فليسلم لى الله أيضا

بأن أستنزل اللعنة عليك جزاء فعلتك الخبيثة .

واحسرتاه لقد كان دمثا وديعا فاضلا !

دوق جلوستر : وهذا ما جعله أصلح لرب السموات الذى اختاره إلى جواره .

آن : إنه فى الجنة التى لن تدخلها أبداً ،

دوق جلوستر : فليشكرنى إذن ، فقد أعنته وأرسلته إلى هناك ،
لأنى رأيته أصلح للسماء منه للأرض .
آن : أما أنت فلا تصلح إلا للجحيم .
دوق جلوستر : بل أصلح لمكان آخر إذا أذنت لى أن أسميه ،
آن : سجن مظلم ،
دوق جلوستر : مخدعك .
آن : إن الأرق ليحل فى الغرفة التى تنام أنت فيها .
دوق جلوستر : أجل يا سيدتى حتى أنام معك .
آن : أرجو ذلك .
دوق جلوستر : أعلم ذلك[١] . ولكن دعينا يا سيدتى الرقيقة ، آن ،
نترك التراشق الحاد بالقرائح .
ونفىء إلى شىء من الجد أهدأ وأرصن .
أليس من كان سببا فى ذلك الموت المبكر
الذى حل بهنرى وإدورد ، سليلى بيت بلانتاجنت
ملوما لوم من نفذه ؟
آن : إنك أنت السبب والمنفذ الرجيم معاً .
دوق جلوستر : لقد كان جمالك سبب ما فعلت .

---

(١) تعنى آن بكلمة « تنام » نومته الأبدية أى موته فى حين يعنى جلوستر بقوله « أنام » أضاجع — لذلك قالت أرجو ذلك وقال هو : إعلم ذلك .

جمالك الذى طالما طاف بى فى منامى ،
ودفعنى إلى أن آخذ على عاتقى قتل الناس أجمعين ؛
لأستريح ساعة واحدة إلى صدرك الحنون .

آن : إذن فاعلم أيها القاتل أنه لو قد دار بخلدى ذلك
لانتزعت جمال خدىّ بأظافرى هذه .

دوق جلوستر : إن عينى لا تحتملان أن تنظرا إلى حطام الجمال البديع ،
فلا ينبغى أن تشوهه بمشهد منى .
فكما يفرح الناس جميعا بنور الشمس .
كذلك أفرح بجمالك . فهو شمسى وحياتى .

آن : ألا فليغش الليلُ البهيمُ نهارك ، وليطمس الموت حياتك .

دوق جلوستر : لا تستنزلى اللعنات على نفسك ، أيتها المخلوقة
الجميلة ، فأنت النهار والليل كلاهما .

آن : وددت لو كنتهما لأثأر منك .

دوق جلوستر : إنها لخصومة عجيبة
أن تبتغى الثأر ممن يحبك .

آن : إنها خصومة قوامها الحق والعقل ؛
أن أثأر ممن قتل زوجى .

دوق جلوستر : إن من سلبك زوجك ، يا سيدتى ، قد فعل ذلك
ليهيئ لك زوجا أفضل .
آن : ليس بين الأحياء من هو أفضل منه .
دوق جلوستر : بل إنه ليعيش هذا الذى يحبك أكثر منه .
آن : سمه
دوق جلوستر : بلانتاجنت
آن : عجبا لقد كان بلانتاجت
دوق جلوستر : إنه ليعرف بهذا الاسم نفسه ؛ ولكنه من معدن
أفضل .
آن : وأين هو ؟
دوق جلوستر : هنا .
(تبصق عليه) .
لماذا تبصقين على ؟
آن : وددت ، من أجلك ، لو أن بصقتى كانت سما
قاتلا .
دوق جلوستر : ما كان لهذا الموضع العذب أن ينفث السم أبداً ،
آن : ما نُفث سم على ضفدع أقذر منك !
أغرب عن وجهى فإنك تؤذى عينى .
دوق جلوستر : أما عيناك ، يا سيدتى الحلوة ، فقد سحرتا عينى .

آن : وددت لو كانتا عينى أفعى تصرعانك بسحرهما .

دوق جلوستر : وددت لو كانتا كذلك لأموت ميتة سريعة ؛
فإنهما الآن تسلبانى كل معنى للحياة .
لقد استنزفت عيناك هاتان من عينى دموعاً مُرة ؛
وقرحت منهما الجفون بما سكبتا من قطرات غزيرة ،
كدموع الأطفال ،
عينىّ اللتين لم تسكبا من قبل دموع الندم قط ؛
حتى حين بكى أبى يورك وإدورد ،
إذ سمعا أنين « روتلاند » الأليم ،
بعد أن طعنه بالسيف « كليفورد » ذو الوجه العبوس.
ولا حين روى أبوك الباسل قصة مصرع أبى
الأليمة ،
وقطع حديثة أكثر من مرة ليبكى وينتحب
كالأطفال ؛
حتى بللت دموع الحاضرين خدودهم كما يبلل المطر
الأشجار ؛
فنى ذلك الوقت الملىء بالحزن
لم ترق عيناى الأبيتان دمعة واحدة
تفصح عن الذلة والمسكنة .

ولكن جمالك قد استطاع أن ينزل ما استعصى
على تلك الأحزان ، فغامت عيناى من كثرة البكاء .
ومع أنى لم أتوسل قط إلى عدو أو صديق ،
ولم يتعود لسانى أبدا أن ينطق بالحديث الحلو الرقيق ،
فإن جمالك قد دفعنى إلى الكلام ،
وقلبى الأبىّ يحث لسانى ويتوسل إليه أن ينطق .
(تنظر إليه بازدراء)
لا تعلمى شفتيك هذا الازدراء ، يا سيدتى ،
فقد خلقتا للقبل لا لمثل هذا الاحتقار .
وإذا لم يستطع قلبك الحريص على الثأر أن يغفر ،
فهأنذا أقدم إليك هذا السيف الصارم ،
لتغمديه ، إذا شئت ، فى صدرى المخلص ،
وتزهقى روحى التى تعبدك .
إنى أكشف عنه للضربة القاضية ،
وأضرع إليك جاثيا أن تقتلينى .
(يكشف عن صدره فتشهر سيفه نحوه
لا ، لا تحجمى فإنى حقا قد قتلت الملك هنرى ؛
وإن كان بجمالك هو الذى دفعنى إلى ذلك .
فهلمى ، هلمى ، فأنا الذى طعنت إدورد الشاب

وإن كان وجهك النورانى هو الذى حفزنى .
خذى السيف ثانية . . أو فخذينى زوجا .

آن : انهض أيها المنافق فلن أكون أنا قاتلتك ،
وإن تمنيت لك الموت .

(تسقط السيف من يدها)

دوق جلوستر : إذن مرينى أن أقتل نفسى فأفعل .

آن : سبق أن أمرتك بهذا .

دوق جلوستر : لقد كان ذلك فى سورة غضبك .
ولكن قوليها مرة أخرى ،
وعندئذ تقتل هذه اليد فى سبيل حبك حبا أشد إخلاصا :
من ذلك الحب الذى صرعته من أجل حبك ،
وستكونين السبب فى مصرعهما .

آن : وددت لو عرفت قلبك !

دوق جلوستر : إن صورته على لسانى .

آن : أخشى أن يكون كلاهما زائفا .

دوق جلوستر : إذن فلن يكون على ظهر الأرض لسان مخلص .

آن : حسبك ، حسبك وضع سيفك فى غمده .

دوق جلوستر : قولى إذن إن السلام قد عاد بيننا .

آن : ستعرف ذلك فيما بعد .

دوق جلوستر : ولكن أيمكننى أن أحيا على رجاء ؟

آن : كل الرجال فيما أعتقد يحيون عليه .

دوق جلوستر : تعطفى والبسى هذا الخاتم .

آن : إن الأخذ لا يعنى العطاء .

(تضع الخاتم فى إصبعها)

دوق جلوستر : انظرى كيف يطوق هذا الخاتم إصبعك
كما يطبق صدرك على قلبي المسكين .
خذيهما كليهما فكلاهما لك .
وإذا أذنت لعبدك الضارع المسكين
أن يسأل يدك الحانية صنيعاً واحداً ،
فستوثقين سعادته إلى الأبد .

آن : وما هو ؟

دوق جلوستر : أن تتفضلى فتتخلى عن مهمتك الأليمة .
لذلك الذى يستحق الحزن أكثر منك .
وترجعى حالا إلى قصر « كروسبى »
حيث أوافيك بأسرع ما أستطيع لأراك ،
بعد أن أكون قد دفنت هذا الملك النبيل فى دير
« تشرتسى »

وبللت قبره بدموع الندم .
أضرع إليك أن تصنعى هذا المعروف
وإن لم تعرفى دواعيه الخفية الكثيرة .
آن : من كل قلبى ! وإنه ليسرنى كل السرور
أن أرى مبلغ ندمك .
فلتصحبانى أى تريسلى وبيركلى .
دوق جلوستر : قولى لى كلمة وداع .
آن : إنها لأكثر مما تستحق ؛
أما وأنت تعلمنى كيف أتملقك ،

(تخرج آن يتبعها تريسل وبيركلى)

فتخيل أنى قلت لك « إلى اللقاء » .
دوق جلوستر : احملوا الجثمان أيها السادة،
إلى « تشرتسى »
رجل من حملة الرماح : إلى « تشرتسى » أيها اللورد النبيل ؟
دوق جلوستر : لا ، بل إلى هوايت فرايزر . وهناك انتظروا مقدمى

(يحملون الجثمان و يمضون)

هل رأى أحد امرأة قط خطب ودها رجل على هذا
النحو ؟

وهل رأى أحد قط امرأة ظفر بها رجل على هذا
النحو ؟

سأنالها ، ولكننى لن أحتفظ بها طويلا .
ماذا ! أآخذها — أنا الذى قتل زوجها[1] وأباه —
بكل ما فى قلبها من حقد دفين ،
وما على لسانها من لعنات وما فى عيونها من دموع ،
وكأنها دماء تشهد على ما تحمل لى من بغضاء ؟
وهذه السدود — هى ، والله ، وضميرها — تقف
بينى وبينها ؛
وليس لى البتة من معين فى توددى إليها
إلا الشيطان الدميم ونظرات الرياء —
— أفوز بها رغم كل ذلك ! والظروف مجتمعة
تناهضنى ؛
— عجبا !
— أتراها قد نسيت إدورد ، ذلك الأمير الشجاع ،
زوجها الذى طعنته فى سورة غضبى فى توكسبرى ،
منذ ما يقرب من ثلاثة أشهر ؟

(١) الواقع أنه كان خطيبها ليس غير .

ذلك السيد المليح الحلو الشمائل ،
الذى لن تستطيع الدنيا على سعتها أن تجود بمثله .
لما أغدقت عليه الطبيعة من هباتها —
شاب ، شجاع ، عاقل ، ذو صفات ملكية أصيلة
لا شك فيها .
أتستطيع بعد ذلك أن تدنس عينيها بمرآى ،
أنا الذى هصر شباب هذا الأمير الجميل فى ريعانه ،
وجعلها أرملة لفراش كئيب مكلوم ؟
تقع عينها على أنا الذى لا يساوى بأجمعه نصف إدورد !
على أنا الأعرج المشوه بصورتى هذه !
ولكن يبدو أننى قد انتقصت من قدر نفسى طوال
هذا الوقت ؛
وهذا ما أراهن عليه بدوقيتين نظير فلس واحد .
ولا شك أنها ترانى رجلا وسيما حقا ،
فإن لم أستطع أن أرى أنا ذلك ،
فلأتحمل ثمن مرآة اشتريها ،
ولأستخدم عشرين أو أربعين حائكا ،
ليصنعوا من الأزياء ما يزدان به جسمى .
وما دمت قد رضيت عن نفسى

فلأبذل قليلا ثمنا لهذا الرضا .
ولكن لا بد لى أن أغيب هذا الرجل فى قبره أولا .
ثم أعود باكيا إلى حبيبتى .
فلتشرقى أيتها الشمس الجميلة حتى أشترى مرآة
أرى فيها صورتى كلما سرتُ !

(يخرج)

الفصل الأول

المنظر الثالث

لندن . القصر

(تدخل الملكة إلزابث واللورد ريفرز واللورد جراى)

ريفرز : صبرا سيدتى ، فلا شك أن جلالة الملك
سيسترد سريعا ما كان عليه من عافية .

جراى : إن جزعك عليه يزيد من علته ،
فبالله عليك هلاّ هدأت نفساً ، وأدخلت السرور إلى قلب جلالته ،
بإقبالك عليه ضاحكة السن قريرة العين .

الملكة إلزابث : ماذا يكون مصيرى لو مات ؟

جراى : لن يصيبك من ضرّ إلا فقد ذلك السيد الجليل .

الملكة : إن فى فقد ذلك السيد كلّ ضر .

جراى : لقد وهبك الله ولداً باراً ، يعزيك عن فقده .

الملكة : أواه ! إنه ما زال صغيرا ،
وسيكفله رتشارد جلوستر ،

وهو رجل لا يحبنى ، ولا يحب أحدا منكما ،
ريفرز : أو قد قر الرأى على أن يكفله .
الملكة : هذا ما نعقد العزم عليه ، وإن كان لم يتقرر بعد ؛
وهو ما لا بد أن يكون إن حدث للملك مكروه .
(يدخل بكنجهام وستانلى أيرل دربى)
جراى : ها قد حضر لورد بكنجهام ولورد دربى .
بكنجهام : طاب وقتك يا صاحبة الجلالة .
ستانلى : أعاد الله إلى جلالتك مرحك السالف ،
الملكة : إن الكونتس ريتشموند ، يا عزيزى اللورد دربى ،
يشق عليها أن تؤمن على دعائك الكريم .
على أنى أؤكد لك أننى لا أحمل لك كرها ،
لا من أجل كبريائها أو صلفها ،
رغم أنها زوجك وأنها لا تحبنى .
ستانلى : رجوتك مخلصا ألا تصدقى
ما يفتريه عليها حاسدوها الكاذبون .
وإن كان ما يبلغك عنها صحيحا ،
فاغفرى لها زلتها ، إنها ترجع إلى مرضها الذى يجعلها متقلبة الأطوار ،

ولا ترجع إلى شر متأصل فى نفسها .

ريفرز : أرأيت الملك اليوم يا سيدى اللورد دربى ؟

ستانلى : لقد عدنا الآن حالا ، أنا والدوق بكنجهام ، من عند جلالته .

الملكة الزابث : إلى أى حد تأملان فى شفائه ، أيها اللوردان ؟

بكنجهام : أملا كبيرا ياسيدتى . إن جلالته يتحدث فى مرح .

الملكة الزابث : كتب الله له الشفاء ! هل تحدثتما إليه ؟

بكنجهام : أجل يا سيدتى . وهو يرغب فى أن يصلح
بين دوق جلوستر وبين إخوتك ؛
وبينهم وبين اللورد ، كبير أمناء القصر ؛
وقد أرسل يطلبهم إلى حضرته .

الملكة الزابث : وددت لو انتهى كل شىء إلى خير . ولكن ذلك لن يكون ،
فإنى لأخشى أن تكون سعادتنا قد بلغت ذروتها[1]

(يدخل دوق جلوستر وهيستنجز ودربى)

دوق جلوستر : إنهم يسيئون إلى ولن أحتمل إساءتهم .
من هم أولاء الذين يشكون إلى الملك ، ؟
إنى قاس ، وإنى لا أحبهم ؟

---

(١) تعنى أن سعادتها قد بلغت أسمى ما يمكن أن تصل إليه ولابد أن تبدأ فى الانحدار .

وحق القديس « بولس » إنهم لا يحبون جلالته إلا أيسر الحب ؛
أولئك الذين يملؤون أذنيه بتلك الشائعات التى تباعد بين القلوب .
ألأنى لا أحسن التملق ، ولا التظرف ،
ولا ألقى الرجال بالابتسام ، ولا أداهن ، أو أخادع ، أو أخاتل ،
ولا أنحنى انحناءات الفرنسيين ، وأتودد تودد القرود ،
ألهذا أتخذ عدوا لدودا ؟
ألا يستطيع رجل صريح أن يعيش دون أن يضمر شرا ؟
أليس بد من أن يشوه السفلة ،
المخنثون ، الماكرون ، المداهنون ، حقيقته الناصعة ؟

جراى : إلى من توجهون فخامتكم الخطاب من بين هذه الجماعة ؟

دوق جلوستر : إليك أنت يا من لا شرف له ، ولا فضيلة ،
متى آذيتك ، متى أثمت فى حقك ؟
أو أنت ؟ أو أنت ؟ أو أى واحد من عصبتكم ؟
قاتلكم الله جميعا ! إن جلالة الملك ،

الذى تشمله رعاية أكثر مما تتمنون له ،
لا يكاد ينعم بالهدوء لحظة ،
حتى تزعجوه بشكاواكم الخسيسة .

الملكة إلزابث : أخى جلوستر ، لقد أخطأت فهم الأمر .
إن الملك قد أرسل إليك بمحض إرادته الملكية ،
ولم يحرضه أحد .
ولعله قد فطن إلى حقدك الدفين ،
ذلك الذى تفصح عنه أعمالك المكشوفة ،
ضدى وضد أولادى و إخوتى .
ولعله باستدعائك
يعرف أسباب ذلك الحقد ، ويقضى عليه .

دوق جلوستر : لست أدرى ، فإن الدنيا قد ساء أمرها ،
حتى غدت العصافير تقتنص صيدها من قمم
لا تجرؤ النسور أن ترتفع إليها .
وما دام كل وضيع قد صار سيدا ،
فإن كثيرا من السادة قد أصبحوا وضعاء .

الملكة إلزابث : مهلا ، مهلا ! إنى أعرف ماتعنيه ، أى أخى جلوستر ،
إنك تحسدنى ، أنا وأصدقائى ، لما ننال من رفعة .
لذلك أدعو الله ألا يحوجنا إليك أبداً .

دوق جلوستر : وأنا أدعو الله ، كذلك ، ألا يوقعنى فى محنة
تحوجنى إليك .
فلقد كنت السبب فى سجن أخى ،
وفيما لحقنى من عار ، وما أصاب النبلاء من مهانة .
على حين تُغدق العطايا الجزيلة
كل يوم لترفع إلى مرتبة النبلاء
أولئك الذين لم يكونوا يملكون قبل يومين اثنين
ما يجعلهم جديرين بهذا اللقب .

الملكة إلزابث : أقسم بمن رفعنى من منزلتى التى كنت قانعةً بها راضية عنها.
إلى تلك القمة المحفوفة بالمخاوف ،
أنى ما أثرت جلالته قط على دوق كلارنس ،
بل لقد حاولت جهدى أن أشفع له عنده .
إنك تسىء إلى أيها السيد إساءة مخزية
بإثارتك حولى هذه الشكوك الدنيئة زورا وبهتانا .

دوق جلوستر : لعلك تنكرين أنك كنت السبب .
فى الزج باللورد هيستنجز أخيرا فى السجن .

ريفرز : إن لها أن تنكر يا سيدى اللورد فإن . . .

دوق جلوستر : إن لها أن تنكر أى لورد ريفرز ، فما من أحد
يجهل هذا .

إنها تستطيع يا سيدى أن تمضى إلى أبعد من
إنكار ذلك .
فتعينك على الوصول إلى منافع جزيلة ،
ثم تنكر بعد ذلك أنها أعانتك ،
وتعزو ما نلته من شرف إلى مواهبك العالية .
أى شىء هذا الذى لا تستطيعه ؟ إنها
تستطيع . . أجل وأيم الحق أنها لتستطيع . .

ريفرز : ما الذى تستطيعه بالله عليك ؟

جلوستر : ماذا تستطيع بالله ! تستطيع أن تتزوج من ملك ،
ملك أعزب وسيم فى ميعة الصبا :
ولا شك أن زيجة جدتك كانت أسوأ .

الملكة إلزابث : يا سيدى اللورد جلوستر ! لقد صبرت
أطول مما ينبغى على إهانتك الوقحة ،
وسخرياتك المرة . ووالله لأنبئن جلالته بما احتملت
من إساءات بالغة . فإنى لأوثر أن أكون خادما
ريفية
على أن أكون ملكة عظيمة على هذه الحال ؛
أهان وأزدرى وأهاجم بهذا الأسلوب .
(تدخل الملكة مرجريت وتقف إلى الخلف)

إنى لم أجد فى اعتلائى عرش إنجلترة إلا قليلا من السعادة .

الملكة مرجريت : رب زد ذلك القليل قلة !
إن مكانتك وملكك وعرشك كلها من حقى .

دوق جلوستر : ماذا ! أتهددينى بإبلاغ الملك ؟
أبلغيه ولا تحجبى عنه شيئا !
اسمعى : إنى سأعترف أمام الملك بكل ما قلته .
وأخاطر بالذهاب إلى البرج .
لقد آن لى أن أتكلم ما دامت جهودى قد نسيت كل هذا النسيان .

الملكة مرجريت : اذهب أيها الشيطان ! إنى لا زلت أذكر جهودك حق الذكر .
لقد قتلت زوجى هنرى فى البرج
وولدى إدورد المسكين « توكسبرى »

دوق جلوستر : لقد كنتُ — قبل أن تصبحى ملكة بل قبل أن يصبح زوجك ملكا —
مطيةً له فى جليل شؤونه ،
أحصد أعداءه الأقوياء حصدا ،
وأكافئ بسخاء أصدقاءه .

ولقد أرقت دمى لأجعل من دمه دماً ملكيا .

الملكة مرجريت : أجل ، وأرقت دما أزكى كثيرا من دمه ودمك !

دوق جلوستر : بينما كنت طوال ذلك الوقت أنت وزوجك جراى
نصيرين لبيت لانكستر .
وكذلك كنت يا ريفرز ، ألم يقتل زوجك
فى معركة مرجريت فى سانت أولبن ؟
دعينى أذكرك — إن كنت قد نسيت —
بما كنت من قبل وما أنت عليه الآن ؛
ثم بما كنته أنا وما أنا عليه الآن .

الملكة مرجريت : كنت وغدا قاتلا وما زلت كذلك !

دوق جلوستر : لقد خذل كلارنس المسكين أباه[1] وريك
أجل وحنث بقسمه ، غفر الله له !

الملكة مرجريت : أخذه الله بحنْثه !

دوق جلوستر : ليقاتل إلى جانب إدورد فى سبيل التاج
وكان حصاد هذا اللورد المسكين من ذلك أن حصد هو نفسه
وددت لو جعل الله لى قلبا كقلب إدورد ، قدّ من صخر ،

(١) أبو زوجه

أو لو جعل قلب إدورد رقيقا رحيما كقلبى .
إننى ساذج كالطفل لا أصلح لهذه الحياة .

الملكة مرجريت : إلى الجحيم بعارك إذن واترك هذه الحياة ؛
فهناك دولتك أيها الشيطان الرجيم !

لورد ريفرز : يا سيدى اللورد جلوستر ، لقد كنا فى تلك الأيام الصاخبة .
التى تذكرنا الآن بها لتبرهن على أننا من الأعداء ،
نتبع سيدنا وملكنا الشرعى .
وكذلك سنتبعك إن أصبحت ملكا علينا .

دوق جلوستر : إن أصبحت ملكا عليكم ! إنى لأوثر أن أكون بائعا جوالا .
إن التفكير فى ذلك لأبعد ما يكون عن نفسى .

الملكة إلزابث : إن كنت ترى أيها السيدأنك لن تظفر بقليل من السعادة
إن أصبحت ملكا على هذه البلاد ،
فخليق بك أن ترى ضآلة سعادتى
وأنا ملكة عليها .

الملكة مرجريت : إن حظ ملكة هذه البلاد من السعادة حظ ضئيل ،
فإننى أنا هى — بائسة كل البؤس .

إنى لم أعد أطيق صبرا .
(تتقدم نحوهم)
استمعوا إلى أيها القرصان المختصمون ،
يا من تختلفون حول اقتسام ما اغتصبتموه منى !
من منكم لا يرتجف حين ينظر إلى ؟
إن كنتم لا تنحنون كالرعية لأنى لم أعد ملكة ،
فإنكم مع ذلك ترتعدون كالمارقين لأنكم خلعتمونى !
أيها الوغد الرعديد ، لا تشح بوجهك عنى .

دوق جلوستر : أيتها العجوز الدنسة المغضنة الأسارير ، ما الذى جاء بك إلى هنا ؟

الملكة مرجريت : لا شىء ، إلا لأحصى ما اقترفت من آثام
وبعدها أدعك لشأنك .

دوق جلوستر : ألم يحكم عليك بالنفى وإن عدت كان جزاؤك الموت؟

الملكة مرجريت : بلى ، لكنى أجد فى النفى ألما
لا أجده فى موتى بالبقاء هنا .
إنك مدين لى بزوج وابن . وأنت بمملكة !
أيها الحلفاء جميعا
إن ما أعانيه من شقاء لهو من نصيبكم . حقا وعدلا ،
أما جميع ما تنعمون به من مسرات فهو من حقى .

دوق جلوستر : تلك هى اللعنة التى استنزلها عليك أبى النبيل
حينما توجت جبينه الباسل بالورق ،
وأسلت الدموع أنهاراً من عينيه بإهاناتك ،
ثم أعطيته — لكى يجففهما — منديلا
قد غمس فى الدم الطاهر الذى فاض من روتلاند الجميل .
إنها لعناته كلها قد حقت عليك ، لعناته التى استنزلها
عليك بكل ما فى روحه من مرارة .
إن الله هو الذى اقتص من فعلتك الدموية لا نحن .

الملكة إلزابث : ما أحكم عدالة السماء فقد انتقمت للأبرياء .

هيستنجز : أى والله ، لقد كان قتل ذلك الطفل
عملا دنسا لم يسمع بمثله من قبل ،
بل لقد كان أفظع ما سمعنا به من فعال !

ريفرز : لقد بكى الطغاة أنفسهم حين سمعوا به .

دورست : ما من أحد إلا تنبأ بالقصاص له .

بكنجهام : لقد بكى « نورثمبرلاند » وكان حاضرا — حين شهده .

الملكة مرجريت : عجبا ! أبعد أن كان كل منكم قبل مقدمى
يكشر عن نابه لأخيه متحفزا لينقض على عنقه .
تتحولون بكل بغضائكم إلى ؟
هل استجابت السماء كل هذه الاستجابة للعنة
يورك المروعة ،
حتى تكفر عن مقتل ذلك الصبي التافه
بموت هنرى وموت إدورد الحبيب
وضياع ملكهما ونفيى المؤلم ،
أو تستطيع اللعنات أن تخترق السحب وتنفذ إلى
السماء ؟
إذن فأفسحى الطريق أيتها السحب الكثيبة للعنات
المضطربة !
فليمت ملكاك بالتخمة[1] إذا لم يمت بالحرب ،
كما مات ملكنا غيلة لكى يصير هو ملكا !
وليمت ابنك إدورد ، الذى هو الآن أمير ويلز ،
قصاصاً لابنى الذى كان أمير ويلز ،
وليمت فى صباه ميتة نكراء مبكرة كما مات ولدى !
وليقتص منك ، أنت الملكة ، لى أنا التى كانت ملكة ،

(١) إشارة إلى ما عرف عن إدورد الرابع من نهم .

فتعيشى بعد أن يموت مجدك مثلى أنا البائسة !
ويمتد بك الأجل لتبكى فقد أبنائك ،
وترى ، كما أرى أنا الآن ،
امرأة أخرى تستمتع بحقوقك كما تستمتعين الآن بحقوقى !
ولتمت سعادتك قبل موتك بزمن مديد ،
وبعد دهر طويل من الأسى .
فلتموتى غير أم ولا زوجة ولا ملكة لإنجلترة !
أى ريفرز ودورست ، وأنت يا لورد هيستنجز ،
لقد كنتم شهودا
حين طعنت الخناجر الدامية ولدى .
فالله أدعو ألا يعيش أحدكم أيامه كاملة ،
بل تنتقص عمره فجاآت الحوادث .

دوق جلوستر : أفرغت من تعاويذك أيتها الحيزبون الذاوية البغيضة؟

الملكة مرجريت : أو أعفيك من اللعنة ؟ انتظر أيها الكلب لتسمع ما أقول :
إن كانت السماء تدخر من نكباتها الأليمة ما يفوق ما أتمناه لك ،
فلتحتفظ بها حتى تنضج آثامك .

ثم لتقذف حينئذ بسخطها عليك
يا من يعكر صفو هذه الحياة البائسة .
ولتدأب وخزات الضمير على الحز فى نفسك !
ولتظن بأصدقائك الخيانة فى حياتك ،
ولتتخذ أعز خلانك من الخونة العريقين ،
وليجف النوم عن عينيك البشعتين ،
إلا حين يروعك حلم مخيف بجحيم من الأبالسة
الشوه .
أنت أيها المسيخ المشئوم ، أيها الخنزير النهم ،
يا من كتب عليه منذ مولده
أن يكون وضيع الخلق شريرا ،
من أبناء الجحيم ، وخزيا لرحم أمه الحزين .
أيها النسل الذى يزدريه صلب أبيه ،
يا خرقة الشرف البالية ، أيها البغيض الممقوت !

دوق جلوستر : مرجريت !

الملكة مرجريت : رتشارد !

دوق جلوستر : لبيك !

الملكة مرجريت : لست أدعوك .

دوق جلوستر : معذرة ، فقد حسبت

إناك دعوتنى بكل تلك الأسماء المريرة !
الملكة مرجريت : أجل لقد دعوتاك، ولكنى لم أنتظر منك جوابا .
فلتدعنى أختم لعنتى !
دوق جلوستر : لقد ختمتها أنا بقولى : مرجريت .
الملكة إلزابث : وهكذا استنزلت لعنتاك على نفساك .
الملكة مرجريت : أيتها الملكة الزائفة ، يا مظهرا فارغا لما كان عليه مجدى ،
لماذا تنثرين شهدك على هذا العنكبوت المتضخم بالسم
هذا الذى يلفك بشباكه القاتلة ؟
حمقاء ، حمقاء ! إنك تشحذين سكينا تقتلين بها نفساك ،
وسيأتى يوم تسألينى فيه أن أستنزل معك اللعنات
على تلك الضفدعة السامة الحدباء .
هيتنجز : أيتها العرافة الكاذبة : كفى عن لعناتك المحمومة ،
وإلا ضاق بك صبرنا فآذيناك .
الملكة مرجريت : خزيا لك ! لقد ضاق بك صبرى .
ريفرز : لو كنت قد عوملت بما تستحقين لتعلمت الأدب .
الملكة مرجريت : لو عوملت بما أستحق لأبديتم نحوى ما يجب من أدب .

ولاعتبرتمونى ملكتكم واعتبرتم أنفسكم رعاياى .
ألا فلتعاملونى بما أستحق ، ولتعرفوا واجبكم !
دورست : لا تجادلوها فإنها مخبولة ،
الملكة مرجريت : رويدك أيها السيد المركيز لا تكن وقحا .
إن الناس لم يكادوا يألفون لقبك هذا الجديد .
وددت لو استطعت أيها النبيل المحدث
أن تقدر كيف يكون حزنك لو فقدته !
إن من يقفون على القمة يتعرضون لكثير من العواصف
التى تهزهم ، فإذا ما سقطوا تمزقوا إربا !
دوق جلوستر : تلك حكمة جميلة والله — فاحفظها — احفظها أيها المركيز .
دورست : إنها تمسك يا سيدى بقدر ما تمسنى .
دوق جلوستر : أجمل وأكثر مما تمسك . ولكنى أقف على القمة منذ مولدى ،
فعشنا العالى قد بنى على قمة شجر الأرز ،
يعبث بالريح ويستخف بالشمس ،
الملكة مرجريت : ويحيل نور الشمس إلى ظلام ،
واحسرتاه ، واحسرتاه

إن شمس ابنى الآن فى ظلام الموت !
بعد أن طوى الحقد أشعتها المنتشرة المشرقة فى ظلام أبدى .
إن عشكم العالى يقوم مكان عشنا العالى .
رب إنك تراه ، فلا تغفل عنه نقمتك ،
وكما كسبوه بالدماء ، فليفقدوه بالدماء !

جلوستر : حسبك ، حسبك ! إن لم يكن رحمة بى فخزيا منك.

الملكة مرجريت : لا تحثنى على رحمة أو خزى ،
فقد عاملتنى بغير رحمة ،
واغتلت آمالى بكل خزى ،
حتى أصبحت رحمتى غضبا وحياتى خزيا ،
وفى ذلك الخزى ما زالت سورة حزنى تعيش !

بكنجهام : كفى . . كفى !

الملكة مرجريت : أى أميرى بكنجهام ، سأقبل يدك ،
ليكون ذلك شاهدا على ولائى وصداقتى لك :
فلتكتب السعادة لك ولبيتك النبيل ،
فإن ثيابك لم تلطخ بدمائنا ،
ولعنتى لم تشملك .

بكنجهام : ولا شملت أحداً من الحاضرين ، فإن اللعنات لا تمضى أبداً

إلى أبعد من شفاه من ينفثونها فى الهواء .
الملكة مرجريت : لست أومن إلا بأنها تصعد إلى السماء .
فتعكر صفو أمنها وسلامها .

(بينها وبينه)

أى بكنجهام حذار من ذلك الكلب ! حذار
فإنه يعض حين يتملق ، وحين يعض
يخلف نابه المسموم قرحة قاتلة .
اقطع صلتك به ، حذار منه ،
فقد تركت الخطيئة والموت والجحيم سماتها عليه ،
وقامت على خدمته كل شياطينها .
دوق جلوستر : ماذا تقول يا سيدى اللورد بكنجهام ؟
بكنجهام : لا شىء ذا بال يا سيدى الكريم .
الملكة مرجريت : ماذا ! أتستخف بى لما أسديت إليك من نصح رقيق ؟
وتتملق ذلك الشيطان الذى حذرتك منه ؟
إذن فاذكر ذلك حين يجىء يوم
ينفطر فيه قلبك من الأسى ؛
وإذ ذاك ستقول إن مرجريت المسكينة قد كشف عنها الحجاب .

فليعش كل منكم مطية لبغضائه ، وليعش هو هدفا لبغضائكم .
ولتعيشوا جميعا وقد حلت بكم بغضاء الله .

(تخرج)

هيستنجز : إن شعرى ليقفّ من سماع لعناتها .

ريفرز : وكذلك يقفّ شعرى — إنى لأعجب لماذا يتركونها طليقة .

دوق جلوستر : لست أستطيع أن ألومها ، فبحق العذراء
لقد قاست من الظلم أكثر مما ينبغى ،
وإنى لأشعر بالندم لما شاركت فى هذا الظلم .

الملكة إلزابث : لست أعرف أنى ظلمتها قط .

دوق جلوستر : ولكنك تنعمين بعاقبة ما نالها من ظلم .
لقد أخذتنى الحمية فى خدمة أحد الناس ،
ولكنه الآن يذكر خدماتى فى فتور .
أما عن كلارنس فبحق العذراء لقد جوزى خير الجزاء .
وها هو ذا يسمن للذبح تقديرا لجهده !
غفر الله لمن كانوا سبب سجنه .

ريفرز : تلك خاتمة طيبة تلائم شرائع المسيحية ،

أن نسأل الغفران لمن آذانا .

دوق جلوستر : إنه لأمر طبيعى (بينه وبين نفسه) وهو عين العقل ،
فلو استنزلتُ اللعنة لكنت قد استنزلتها على نفسى

(يدخل كاتسبى)

كاتسبى : مولاى ، إن الملك يدعوك
ويدعو فخامتك — ويدعوكم يا سادتى الاوردات .

الملكة إلزابث : أى كاتسبى ، سآتى ، هلا أتيتم معى أيها السادة .

ريفرز : سنصحبك يا سيدتى

(يخرجون جميعاً ما عدا جلوستر)

دوق جلوستر : إنى أقترف الإثم وأبدأ بالشكوى ،
وأتهم الآخرين بأشنع ما دبرت من شرور .
فهأنذا أبكى لمصير كلارنس
الذى رميته رمياً فى ظلمات السجن .
أمام هؤلاء السذج المخدوعين
هيستنجز ، ودربى ، وبكنجهام ،
وأزعم أن الملكة وشيعتها
هم الذين أثاروا الملك على أخى الدوق ،
وها هم أولاء قد صدقوا قولى فهم يحماوننى
على أن أنتقم من ريفرز وفوجان وجراى ،

ولكنى أتحسر وأسوق لهم نصا من الإنجيل
بأن الله يوصينا بأن نجزى بالشر خيرا .
وهكذا استر شرى المفضوح
بخرق أسرقها من الكتاب المقدس ،
فأبدو كالقديس وأنا أمضى فى تمثيل دور الشيطان !

(يدخل قاتلان)

ولكن مهلا ها هما ذان القاتلان .
أى صديقى القويين الجريئين المصممين
أذاهبان أنتما لأداء تلك المهمة ؟

القاتل الأول : نعم يا مولاى — وقد جئنا لنأخذ الإذن
بالدخول إلى حيث يقيم .

دوق جلوستر : أحسنتما التدبير — إنه معى هنا
عندما تفرغان اذهبا إلى قصر « كروسبى » .

(يعطيه الإذن)

ولكن عليكما أن تعجلا بقتله أيها السيدان ،
وأن تكونا مصممين فلا تستمعا إلى توسلاته .
فإن كلارنس بارع الحديث ، وربما استطاع
أن يعطف قلبيكما إن أنتما استمعتما إلى حديثه .

القاتل الأول : هه ! اطمئن يا سيدى فلن نستمع إلى هرائه .

إن أصحاب الكلام لا يحسنون العمل ،
وثق أننا جئنا لنستخدم أيدينا لا لسانينا .

دوق جلوستر : إن عيونكما لا تذرف إلا الصخر حين تذرف
عيون الحمقى دموعاً ،
إنى معجب بكما أيها الفتيان فامضيا إلى عملكما
ولا تلويان على شيء
اذهبا ، اذهبا — وعجلا .

القاتل الأول : سنذهب يا سيدى .

(يخرجان)

الفصل الأول

المنظر الرابع

لندن . البرج

(يدخل كلارنس وبراكنبرى)

براكنبرى : لم تبدو اليوم يا صاحب العظمة ، مكتئب النفس كل هذا الاكتئاب ؟

كلارنس : آه ! لقد قضيت ليلة نكراء
مليئة بالمشاهد المخيفة والأحلام والمروعة ؛
حتى لقد وددت ، وأنا المسيحى التقى ،
ألا أقضى ليلة مثلها ،
ولو اشتريت بها دنيا من الأيام السعيدة .

ما كان أهولها من ليلة مفزعة !

براكنبرى : ماذا رأيت ، يا صاحب العظمة ، فى حلمك ؟
: أرجو أن تقصه على .

كلارنس : خيل إلى أنى قد هربت من البرج
وركبت سفينة لأعبر إلى برجندى ،

وكان بصحبتى أخى جلوستر ،
فأغرانى أن أخرج من غرفتى وأسير على ظهر السفينة ؛
وهنا اتجهنا بأبصارنا إلى إنجلترة ،
ورحنا نتذكر آلافا من اللحظات المروعة التى مرت
بنا أثناء الحرب بين بيتى يورك ولانكستر .
وبينما كنا نسير على ظهر السفينة المترنح
خيل إلى أن جلوستر قد عثر فدفعنى فى سقطته
وأنا أحاول أن أقيله من عثرته —
بعيدا عن السفينة إلى أمواج البحر الصاخبة .
رباه ، رباه ! ما أفظع أن يموت المرء غريقاً !
وكم كان صوت الماء فى أذنى مخيفا !
وكم رأت عيناى من مشاهد الموت المنكرة !
لقد خيل إلى أنى أنظر إلى حطام ألف سفينة
تروع النظر ؛
وإلى ألف رجل تنهش الأسماك لحومهم ؛
ورأيت قضباً من الذهب ، ومراسى ضخمة ،
وأكواما من اللؤلؤ ،
وأحجاراً كريمة ، وجواهر لا تقدر بثمن ،
كلها قد انتثرت فى قاع البحر :

وقد استقر بعضها فى جماجم الموتى .
وإلى تلك الحفر التى كانت من قبل مقرا للعيون ،
زحفت جواهر متألقة كأنما تسخر من تلك العيون ،
وتتطلع كالمحب الولهان إلى قاع البحر اللزج ،
وتهزأ بعظام الموتى المبعثرة من حولها .

براكنبرى : أوكان لديك متسع من الوقت ساعة الموت
لتنعم النظر إلى خفايا البحر ؟

كلارنس : لقد خيل إلى ذلك . وكم حاولت
أن ألفظ الروح ، ولكن العباب الحقود ،
كان يبقيها ، ويمنعها من الانطلاق ،
لتلتمس الهواء الخالى ، المنفسح ، الهائم ؛
وكان يخنقها فى صدرى اللاهث
الذى أوشك أن ينفجر ويقذف بها إلى البحر ،

براكنبرى : ألم يوقظك هذا العذاب الأليم ؟

كلارنس : أوه! كلا . فقد طال حلمى بعد أن غادرت الحياة :
وخيل إلى أن العاصفة بدأت تجتاح روحى ،
التى دفعها ذلك التيار الكئيب ،
لتعبر مع أولئك الملاحين ، ذوى الوجوه العابسة ،
إلى دولة الظلام الأبدى ، التى يصفها الشعراء .

وكان أول من لقى روحى الغريب هناك
هو حماى العظيم ورياك الشهير
وعندها صاح : « أى قصاص ذلك
الذى ادخرته دولة الظلام هذه لكلارنس الخائن »
جزاء خيانته ؟

ثم اختفى ، وعندئذ طاف بى
خيال كالملك أشقر الشعر
ملطخ بالدماء ، وصاح فى صوت حاد :
« لقد جاء كلارنس ، كلارنس المخادع ؛
المتقلب ، الحانث ،
ذلك الذى طعننى فى المعركة بالقرب من " توكسبرى "
خذيه أى آلهة الانتقام ، وأذيقيه العذاب ! »
وخيل إلى بعد قوله أن طائفة من الأبالسة الخبيثة
قد أحاطت بى ، وأخذت تعوى فى أذنى بصيحات
بغيضة هزتنى كل صيحة منها حتى صحوت ،
ولبثت بعدها وقتا طويلا
أعتقد أنى لا زلت فى الجحيم ؛
هكذا كان أثر ذلك الحلم المفزع !
براكنبرى : لا عجب ، يا سيدى اللورد ، إن كان قد أفزعك

فإني أظن أني أفزع لسماعك وأنت تقصه على .
كلارنس : أي براكنبري — لقد أتيت هذه الفعال
التي تدين الآن روحي
من أجل إدورد ؛ فانظر كيف يجزيني !
رباه ، إن لم تستطع صلواتي الحارة أن تمحو غضبك ،
وإن كنت قد شئت أن تقتص مني لما اقترفت من آثام ،
فأنزل غضبك عليّ وحدى وابق على زوجي البريئة
وأطفالي المساكين ! —
أيها الحارس الرحيم ، سألتك أن تبقى معى ؛
إن روحي مثقلة ؛ وأشتهي أن أنام .
براكنبري : سأفعل ياسيدى اللورد : وهب الله عظمتك راحة طيبة!
(ينام كلارنس)
إن الهم يقلب الأوقات ويقضّ ساعات الراحة ،
ويحيل الليل صباحا ، والظهيرة ليلا .
وليس يملك الأمراء من مجد إلا ألقابهم ؛
وليس لهم لقاء ما يجدون فى نفوسهم من شقاء ؛
إلا مظاهر الشرف . وهم فى سعيهم
وراء السعادة ، التى لا ينعمون بها ،
لا يلقون ، فى كثير من الأحوال ، إلا حشداً

من الهموم المضنية :
فهم بألقابهم لا يفترقون عن العامة ،
إلا بما لهم من مظاهر المجد . (يدخل القاتلان)

القاتل الأول : عجبا ! من هناك ؟

براكنبرى : من أنت با لله . وكيف جئت إلى هنا ؟

القاتل الأول : أريد أن أتحدث إلى كلارنس ،
وقد جئت إلى هنا على قدمى !

براكنبرى : أو تتحدث بكل هذا الإيجاز ؟

القاتل الثانى : خير للمرء ياسيدى أن يكون موجزاً من أن يكون مملا .
أره إذننا ، ولا تتكلم بأكثر من هذا .
(يقرأه براكنبرى)

براكنبرى : إن هذا الإذن يأمرنى ،
أن أسلم إليكم دوق كلارنس ،
ولن أناقش غاية هذا الأمر
لأنى لا أحب أن تكون لى يد فيه .
هاكما المفاتيح ، وها هوذا الدوق نائم هناك .
أما أنا فسأذهب إلى الملك ،
فأنبئه بأنى أسلمت سجينى إليكما .

القاتل الأول : من الحكمة أن تفعل يا سيدى ،

ومع السلامة . (يخرج براكنبرى)

القاتل الثانى : ماذا ! أأطعنه وهو نائم ؟

القاتل الأول : لا — فإنه سيرمينا حينئذ بالجبن
حين يصحو .

القاتل الثانى : حين يصحو ! إنه لن يصحو
إلا يوم الحساب .

القاتل الأول : ويحك سيقول يوم الحساب إننا طعناه وهو نائم .

القاتل الثانى : إن كلمة « الحساب » قد أثارت فى نفسى شيئا
من تأنيب الضمير .

القاتل الأول : ماذا ! أتخاف ؟

القاتل الثانى : لست أخاف قتله ومعى إذن به .
ولكنى أخاف أن أذهب إلى الجحيم من أجله ،
وهناك لن يحمينى منها أى إذن .

القاتل الأول : حسبتك قوى العزم !

القاتل الثانى : نعم ، إنى لقوى العزم إن أبقيت على حياته .

القاتل الأول : إذن أعود إلى دوق جلوستر
وأقول هذا له .

القاتل الثانى : سألتك أن تنتظر لحظة :
فإنى لآمل أن تذهب عنى هذه النزوة الحارة .

لقد اعتدت ألا يسيطر عليّ هذا الشعور
إلا بمقدار ما أعد إلى عشرين .

القاتل الأول : كيف تجدك الآن ؟

القاتل الثانى : عجبا ! ما زلت أحس فى نفسى
ببعض بقايا الضمير

القاتل الأول : تذكر مكافأتنا بعد أن نفرغ من مهمتنا .

القاتل الثانى : لتموتن والله ! لقد نسيت المكافأة .

القاتل الأول : وأين ضميرك الآن ؟

القاتل الثانى : عجبا ، إنه فى كيس دوق جلوستر !

القاتل الأول : إذن فسيطير حين يفتح الدوق كيسه
ليعطينا المكافأة .

القاتل الثانى : لا ضير ، دعه يذهب ،
فلن يأبه له إلا القليلون
بل وقل إنه لن يأبه له أحد .

القاتل الأول : وكيف إذا عاودك مرة أخرى ؟

القاتل الثانى : لن يكون لى به شأن .
فهو يحيل المرء إلى مخلوق جبان .
إن أراد أن يسرق أنّبه . وإن أراد أن يسب منعه ،
وإن أراد أن يأثم مع زوج جاره فضحه .

إنه روح حيي خجول
يتمرد فى صدر المرء ويزحم طريقه بالعقبات .
لقــد جعلنى مرة أرد كيساً من الذهب
عثرت عليه مصادفة . إنه يفقر كل من يرعاه .
إن أهل المدن والبلدان يطردونه ويعدونه شيئا خطيرا ،
وكل من يطمع فى أن يحيا حياة رغدة
يحاول دائماً أن يعيش من دونه ،
ولا يستمع إلا إلى صوت هواه وحده .

القاتل الأول : إنه فى هذه اللحظة بجانبي يحاول أن يثنيني عن قتل الدوق .

القاتل الثانى : فكر فى الشيطان ولا تصدقه ،
فإنه يتقرب إليك ثم يورثك الندم .

القاتل الأول : إنى رجل قوى ،
وأؤكد لك أنه لن يستطيع أن يغلبنى .

القاتل الثانى : هذا حديث رجل شجاع
حريص على سمعته .
هيا بنا . هلا فرغنا لذلك العمل ؟

القاتل الأول : اضربه على رأسه بمقبض سيفك ،
ثم ألق به فى برميل النبيذ

في الغرفة المجاورة .

القاتل الثانى : لنعم الرأى ! ولننقعه ليصبح « نبيذ النبيذ »

القاتل الأول : رفقا ! فإنه يستيقظ !

القاتل الثانى : فلنضرب !

القاتل الأول : كلا فلنتداول معه أولا .

كلارنس : أين أنت أيها الحارس ؟
أعطنى كأساً من النبيذ .

القال الثانى : ستشرب بعد لحظة قصيرة كفايتك من النبيذ ،
يا سيدى الاورد

كلارنس : من أنت بالله ؟

القاتل الثانى : رجل مثلك .

كلارنس : ولكنك لست مثلى من دم ملكى خالص .

القاتل الثانى : وكذلك لست أنت مثلنا ؛ غاية فى الإخلاص .

كلارنس : إن صوتك كالرعد وإن كنت وضيعاً فى هيئتك .

القاتل الثانى : إن صوتى الآن لهو صوت الملك . أما هيئتى
فهى هيئتى أنا .

كلارنس : يا لحديثك إنه ليشيع فيه الموت والظلام !
إن عينيك تتوعدانى . لم تبدو هكذا شاحبا ؟
ومن أرسلك إلى هنا ؟ ولم جئت ؟

الاثنان : لكى — لكى . . .
كلارنس : لكى تقتلانى ؟
الاثنان : أجل — أجل .
كلارنس : إنكما لم تجدا فى قلبيكما الشجاعة لتخبرانى
إلا بشق الأنفس .
وهكذا لن تجدا الشجاعة لتقتلانى .
بم أسأت إليكما أيها الصديقان ؟
القاتل الأول : لم تسىء إلينا ، بل إلى الملك .
كلارنس : سيصلح الأمر بينى وبينه ثانية .
القاتل الثانى : أبداً يا سيدى فتهيأ للموت
كلارنس : أو قد انتخبتما من بين الرجال جميعا
لتقتلا الأبرياء ؟ ماذا جنيت ؟
وأين الدليل على جنايتى ؟
ومن هم أولئكما المحلفون الذين أعلنوا قرارهم
إلى القاضى العبوس ؟
أو من هو ذلكما الذى أصدر هذا الحكم المرير
بموت كلارنس المسكين ؟
إن تهديدكما إياى بالموت قبل أن يدينى القانون
أمر لا يبيحه القانون أبداً . لذلك أطلب إليكما

بحق دم المسيح الغالى الذى أريق فى سبيل
خطايانا الجسيمة ، إن كنتما تطمعان فى مغفرة الله
أن تذهبا ولا تمدا إلى يدا بشر !
فإن العمل الذى تكفلتما به ملعون من الله .

القاتل الأول : إنا سنفعله لأننا أمرنا به .

القاتل الثانى : والذى أمرنا هو ملكنا .

كلارنس : أيها الرجلان الحقيران الخاطئان ! إن ملك الملوك الأكبر
قد أمر ، فى لوح شريعته ،
ألا ترتكبا جريمة القتل .
أتريدان إذن أن تزدريا أمره وتطيعا أمر إنسان ؟
حذار فإن الانتقام فى يديه
يصبه على رؤوس من يخالفون شريعته .

القاتل الثانى : وسيصب عليك هذا الانتقام نفسه
لحنثك بعهدك ولما اقترفت أنت من جرائم قتل كذلك .
لقد أقسمت قسما مقدسا
أن تقاتل فى سبيل بيت « لانكستر »

القاتل الأول : وقد حنثت بقسمك وخنت أمانة الله ،
ومزقت بسيفك الخائن
أحشاء ابن ملكك .

القاتل الثانى : الذى أقسمت أن تحبه وتحميه .
القاتل الأول : فكيف تتوعدنا بشريعة الله الصارمة ،
وقد عصيتها على هذا النحو الأثيم ؟
كلارنس : واحسرتا ! فى سبيل من اقترفت ذلك الإثم ؟
فى سبيل إدورد أخى ومن أجله هو .
فكيف يمكن أيها السيدان أن يكون قد أرسلكما لقتلى ؛
ونصيبه فى ذلك الإثم لا يقل عن نصيبى ؟
ألا فاعلما أن الله ، إن كان سينتقم لتلك الفعلة .
فهو سينتقم جهراً .
فدعا الأمر فى يده الجبارة ،
فليس به من حاجة إلى تلك الطرق الملتوية ،
أو تلك السبل غير المشروعة ،
ليقضى على من أثار غضبه .
القاتل الأول : فمن أباح لك إذن أن تكون رسول الموت .
حين أصبت بطعنتك القاتلة « بلانتا جنت » ،
ذلك الأمير الصغير الشجاع والفارس الفتى فى
جماله المتفتح ؟ .
كلارنس : حبى لأخى ، والشيطان ، وسورة الغضب .
القاتل الأول : وكذلك جاء بنا لنقتلك

حبنا لأخيك وواجبنا ، وخطيئتك .

كلارنس : إن كنتما تحبان أخى فما ينبغى لكما أن تبغضانى :
فإنى أخوه الذى يخلص له الحب إخلاصا .
وإن كنتما قد استؤجرتما بمال فارجعا ،
وسأرسل إلى أخى جلوستر ليجزيكما عن حياتى
خيرا مما كان سيجزيكما إدورد عن موتى .

القاتل الثانى : أنت مخدوع ، فإن أخاك جلوستر يضمر لك الكره .

كلارنس : آه ! كلا — إنه يحبنى ويخلص لى الود .
اذهبا من عندى إليه .

القاتلان : كذلك سنفعل .

كلارنس : وقولا له إن أبانا الأمير يورك
حين بارك أبناءه الثلاثة بيده الظافرة ،
وسألنا ، من أعماق قلبه أن يحب بعضنا بعضا ،
لم يدر بخلده أن سيكون بيننا هذا الخلاف والجفاء .
ذكرا جلوستر بهذا فسيذرف الدمع .

القاتل الأول : بل سيذرف « الصخر » كما أمرنا أن نذرفه بدل الدمع .

كلارنس : آه ، لا تتحدثا بسوء عنه فإنه عطوف رحيم .

القاتل الأول : رحيم كرحمة الثلج إذ يسقط أيام الحصاد .
دع ما أنت فيه ؛ فإنك تخدع نفسك .

ذلك هو الذى أرسلنا إلى هنا لنقتلك .

كلارنس : مستحيل ! لقد أخذنى بين ذراعيه ساعة افترقنا
وأقسم وهو ينتحب
أن يبذل كل جهد ليخلصنى .

القاتل الثانى : أجل — فهذا هو ما يفعله حين يخلصك
من رق الحياة فتنطلق إلى سعادة السماء .

القاتل الأول : صل لربك فإنك لا محالة ميت ، يا سيدى اللورد .

كلارنس : أتشعران هكذا بالتقوى
وتنصحانى بأن أصلى لربى .
ثم تغفلان عن نفسيكما
وتنسيان أنكما تخاصمان الله بقتلكما إياى ؟
أيها السيدان تدبرا أمركما
فإن من أمركما باقتراف هذه الفعلة سيبغضكما من أجلها .

القاتل الثانى : وماذا نفعل ؟

كلارنس : كونا رحيمين تستنقذا نفسيكما من الضلال .

القاتل الأول : نرحم ! كلا ، إن هذا شأن الجبناء أو النساء .

كلارنس : وألا ترحما شأن الوحوش والضوارى والشياطين
فمن منكما لو قدر له أن يكون ابن أمير ،
محجوراً على حريته ، كما هو شأنى الآن ،

ثم يأتيه قاتلان مثلكما ،
لا يتوسل استنقاذاً لحياته ؟ إنى لحرى فى هذه الحال
أن أتوسل ؛ كما أنكما حريان أن تتوسلا ،
لو وقعتم فيما أنا فيه من شدة .

(يخاطب القاتل الثانى)

أى صديقى ، إنى ألمح فى نظراتك بعض الرحمة
إن لم تكذبنى عيناك. فتعال إلى جانبى وتوسل من أجلى.
ألا يثير أمير فى ذل السؤال ، رحمة السائلين *؟

القاتل الثانى : انظر وراءك يا سيدى اللورد !

(يطعنه)

القاتل الثانى : خذ هذه وتلك (يطعنه) فإن لم تكفيا
فسأغرقك فى برميل النبيذ الذى هناك .

(يجر الجثمان إلى الخارج)

القاتل الثانى : يا لها من قتلة منكرة ارتكبناها بشناعة !
وددت لو غسلت يدى —مثلما فعل « بيلاطس »(١)

---

(١) بيلاطى (Pilate) حاكم فلسطين الرومانى أيام المسيح . وقد عرف بالقسوة والطغيان . وهناك أسطورة تقول إنه دفن فى بحيرة من بحيرات الألب و إن الشيطان يخرج من جثمانه ، مرة كل عام ، حين تحل ذكرى صلب المسيح ، فيجلسه ويغسل يديه تكفيراً عن مشاركته فى ذلك العمل .

من تلك الجريمة البشعة النكراء !

(يعود القاتل الأول)

القاتل الأول : عجبي لك ! خبرني ، كيف لم تعن؟
والله ليعرفن الدوق بتقصيرك !

القاتل الثاني : وددت لو قد عرف أني أنقذت أخاه !
خذ المكافأة أنت وانقل إليه ،
أني نادم على قتل الدوق .

(يخرج)

القاتل الأول : أما أنا فلست كذلك — اذهب أيها الجبان !
والآن لا بدّ لي أن أواري جسده في حفرة ما
حتى يأمر الدوق بدفنه ؛
١ وسأرحل بعد أن أقبض أجري ،
فليس منذ الآن مقام في هذا البلد ، إذ لا بد
يوما أن يذيع السر .

(يخرج)

الفصل الثانى

المنظر الأول

لندن . القصر

(صوت أبواق – يدخل الملك إدورد المريض محمولا على كرسى ، ومعه الملكة إلزابث ودورست ، وريفرز ، وهيستنجز ، وبكنجهام ، وجراى ، وآخرون) .

الملك إدورد : أما وقد أنجزت اليوم عملا عظيما ،
فلتحافظوا ، أيها النبلاء ، على هذه العروة الوثقى ،
فإنى أنتظر ، من يوم إلى آخر ، رسولا من مخلصى ،
لينقذنى من هذه الحياة .
والآن يستطيع روحى أن يصعد فى سلام إلى السماء ،
ما دمت قد أقمت السلام بين أصدقائى فى الأرض .
أى هيستنجز ، وريفرز ، فليشد كل منكما على يد الآخر .
لا تداريا البغضاء بل أقسما مخلصين على المحبة .

ريفرز : تالله لقد برئ قلبى من كل حقد أو حسد .
وهأنذا أختم بيدى على ما بقلبى من ود صادق .

هيستنجز : وهأنذا أوثق عهدى مثله ، وفقنى الله !

الملك إدورد : حذار أن يكون ذلك عبثاً منكما أمام ملككما ؛

وإلا فضح ملك الملوك المتعالى
رياءكما الخبئ وكتب عليكما أن يهلك كلا كما صاحبه .

هيستنجز : ذاك عهدى على المودة الخالصة وفقنى الله !

ريفرز : وكذلك فليوفقنى ما أقمت على محبة هيستنجز !

الملك إدورد : مولاتى ، لستُ أستثنياك من هذا ،
ولا ابنك دورست ، ولا أستثنيك يا بكنجهام .
لقد كنتم شيعاً متخاصمين .
أى زوجى ، اخلصى الود للورد هيستنجز ودعيه يقبل يدك ،
وليكن ذلك منك دون خديعة .

الملكة إلزابث : إليك هيستنجز ، وإن أذكر أبداً بعد اليوم بغضاءنا السابقة ؛
كتب الله لى ولقومى التوفيق !

الملك إدورد : دورست ، عانقه . أى هيستنجز ، أخلص الود للمركيز .

دورست : أقسم أنى أنا لن أخون
هذا الود المشترك

هيستنجز : وكذلك أقسم يا سيدى اللورد . (يتعانقان)

الملك إدورد : والآن أيها الأمير بكنجهام ،
فلتؤكد ولاءك بأن تعانق شيعة زوجى ،
فتسعدنى باتحادكم .

بكنجهام (إلى الملكة) : — فليحل عقاب الله على
إن حملت لك أو لعشيرتك أى بغضاء

أو لم أبذل لك ولهم أصدق الود —
أن أغدو بغيضا إلى من هم أليق الناس بأن يحبونى .
فإذا ما كنت فى أشد الحاجة إلى معونة صديق
أثق أكبر الثقة بصداقته
فليجعله الله
ماكراً مخادعاً حقودا .
إن فتر حبى لك ولعشيرتك (يتعانقان)

الملك إدورد : إن عهدك هذا ، أيها الأمير بكنجهام ،
قد كان مقويا منعشا لقلبى السقيم .
وليس ينقصنا الآن ، ليكمل هذا السلام ،
إلا أخى جلوستر .

بكنجهام : ها هو ذا الدوق قد جاء فى اللحظة المناسبة .
(يدخل جلوستر)

جلوستر : طاب صباح مليكى ، وملكتى ،
سعد وقتكم أيها السادة النبلاء !

الملك إدورد : لقد كان يوماً سعيداً حقا ،
فعلنا فيه ، يا جلوستر ، كثيرا من الخير ،
وخلقنا من الخصام صلحا ، ومن الكراهية حبا ،
بين هؤلاء النبلاء الذين امتلأت نفوسهم بالغضب والشر .

جلوستر ـ : ذلك جهد مشكور ، أى مليكى الأجل !
أما أنا ، فإن كان من بين هذه الجماعة من النبلاء
أو أى أحد من الحاضرين
من يرانى عدوا
لما بلغه عنى من أخبار كاذبة ، أو ظنة من ظنون مخطئة ،
أو كنت قد أسأت غير عامد أو فى سورة الغضب ؛
إساءة يحملها لى أحدٌ هنا من الحاضرين ،
فإنى راغب إليه أن يصفح عما أتيت :
فإنى أبغض العداء بغضى للموت !
وأرغب من الأخيار جميعاً كل حب .
وأبدأ فأرجو منك الصلح يا مولاتى ،
وسأشتريه بخدماتى المخلصة ،
ومنك يا ابن العم النبيل بكنجهام
إن كان بيننا شىء من الضغن ،
ومنكما أى لورد ريفرز ، ولورد جراى ،
ومنكم جميعا ، يا من سخطوا علىّ دون جريرة ،
من الدوق والإيرل واللورد والسيد ، منكم جميعا .
فلست أعرف فى نفسى أدنى خصومة ،
بينى وبين أحد من أبناء هذا الوطن .

فما فى نفسى إلا براءة طفل ولد من يومه هذا ،
وأحمد الله على ما وهبنى من تواضع !
الملكة إلزابث : سيظل هذا اليوم على مرّ الزمن يوماً مقدسا ،
وإنى لأسأل الله أن تكون كل هذه الضغائن
قد امحت إلى غير رجعة ،
وأتوسل إليك ، يا صاحب الجلالة ،
أن تصفح عن أخينا كلارنس .
جلوستر : سيدتى ، أو بذلت لكم حبى
لكى أهان على هذا النحو فى حضرة الملك ؟
منذا الذى لا يعرف أن الدوق النبيل قد مات ؟
(يفزعون جميعاً)
إنك تسيئين إليه إذ تسخرين من جثمانه .
ريفرز : منذا الذى لا يعرف أنه مات ! ومنذا الذى يعرف ذلك؟
الملكة إلزابث : يا علام الغيوب ، أى عالم هذا ؟
بكنجهام : أيبدو على ما على الآخرين من شحوب ، أى
لورد دورست ؟
دورست : أجل يا سيدى ، وما من أحد هنا
إلا غاض الدم من وجنتيه .
الملك إدورد : أو مات كلارنس ؟ لقد غيرت أمرى فيه .

جلوستر : ولكن المسكين مات بأمرك الأول ،
الذى حمله رسول مجنح ، كمركورى ،
أما التغيير فحمله كسيح كسول ،
لم يصل إلا ليشهد دفنه .
وقد قضى الله أن أناسا أقل نبلا وولاء ،
أقرب إلى سفك الدماء ، لا أقرب فى الدم
يستحقون ما لا يقل سوءا عن مصير كلارنس ،
ومع ذلك بقوا بمنأى عن الريبة .

(يدخل دربى)

دربى : مولاى ! إنى أرجو منك صنيعاً لقاء خدماتى .
الملك إدورد : أرجو أن تدعنى لنفسى فإن روحى يفيض بالحزن .
دربى : لن أنهض حتى تستمع إلىّ .
الملك : إذن فانطق فى الحال بما تريد .
دربى : حياة خادمى يا مولاى ،
إذ قتل اليوم رجلا شكسا
دخل ضمن أتباع دوق نورفوك أخيرا .
الملك إدورد : أيقضى لسانى على أخى بالموت ؛
ثم يعفو هذا اللسان نفسه عن عبد ؟
إن أخى لم يقتل أحدا . كانت جريمته مجرد فكرة ،

ومع ذلك كان الموت الزؤام عقوبته .
من منكم يشفع له عندى ؟
من منكم ركع عند قدمى وأنا فى سورة غضبى ،
وسألنى أن أستمع إلى صوت العقل ؟
من منكم تحدث عن الأخوة؟ من منكم تحدث عن الحب؟
من منكم قال لى إن المسكين قد خذل وريك
العظيم وحارب من أجلى ؟
من منكم ذكرنى بما حدث فى معركة « توكسبرى »
حين طرحنى أكسفورد فأنقذنى .
وقال لى : « فلتعش أيها الأخ العزيز ولتكن ملكا ! »
من منكم ذكرنى كيف دثرنى بملابسه ،
حين رقد كلانا فى ساحة المعركة ، ونحن على
وشك الهلاك من الصقيع ،
وعرّض نفسه — وهو عار إلا من أيسر الكساء —
لبرد الليل القارس ؟
لقد نزع غضبى الوحشى الآثم
كل ذلك من ذاكرتى .
ولم أجد منكم واحداً بلغ من النخوة ما يذكرنى به .
أما حين يرتكب مخمور ، من خدمكم أو أتباعكم ،
جريمة قتل يلطخ بها ،

صورة مخلصنا العزيز الغالية ؛
فإنكم تركعون فى الحال طالبين العفو ، العفو !
وعلىَّ أن أمنحكم هذا العفو ولو خالفت بذلك العدالة .
أما من أجل أخى المسكين فما يتكلم أحد .
وما كلمت نفسى أنا ، أنا ذلكم الشرير ،
من أجله ! إن أعزكم كبرياءً
كان مدينا له فى حياته ؛
ومع ذلك فما من أحد منكم تشفع له إبقاءً على حياته .
رباه ! أخشى أن تنالنى عدالتك ،
بل أن تنالكم وتنال عشيرتى وعشيرتكم جزاءَ هذه الفعلة !
إلىَّ ياهيستنجز وأعنى على بلوغ غرفتى . وا أسفاه
أىْ كلارنس المسكين !

جلوستر : تلك ثمرة الاندفاع . ألم تلحظوا
كيف بدا الشحوب على أقرباء الملكة الآثمين
حين سمعوا بموت كلارنس ؟
طالما حرضوا الملك على ذلك ،
ولكن الله سيثأر له . أما الآن فهيا بنا أيها السادة
لنسرى بصحبتنا عن إدورد

بكنجهام : سنذهب مع فخامتك (يتبعونه)

الفصل الثانى

المنظر الثانى

(القصر)

(تدخل دوقة يورك العجوز مع طفلى كلارنس)

الصبى : أنبئينى يا جدتى الكريمة ، هل مات أبونا ؟

الدوقة : لا يا ولدىّ

الصبية : لماذا إذن تستسلمين للبكاء كثيرا ، وتدقين صدرك
وتصيحين : « أى كلارنس يا ولدى الشقّى ! »

الصبى : ولماذا تنظرين إلينا وتهزين رأسك ،
وتنعتيننا باليتيمين المسكينين المنبوذين ،
إن كان والدنا الكريم لم يمت ؟

الدوقة : يا حفيدى الجميلين ، إنكما تسيئان فهمى ،
إنى أبكى لمرض الملك
الذى أكره أن أفقده ، ولا أبكى لموت أبيكما :
فالحزن على مَنْ ضاع حزنٌ ضائع .

الصبى : إذن فأنت يا جدتى تقرين بأنه قد مات !

إن عمى الملك ، هو المسئول عن موته .
وسيثأر الله له ،
وسأضرع إليه كل يوم فى صلواتى أن يفعل .
الصبية : وسأضرع إليه أنا أيضا .
الدوقة : اهدأا يا طفلى ، اهدأا إن الملك يحبكما حقًّا
أيها البريئان الطيبان الساذجان ، إنكما لا تستطيعان
أن تتوهما من المسئول عن موت أبيكما .
الصبى : بل نستطيع ، يا جدتى ، فقد أخبرنى عمى العزيز ،
جلوستر ،
أن الملك اختلق له ، بتحريض من الملكة ،
ذنوباً لكى يلقى به فى السجن .
وقد بكى عمى حين أخبرنى بهذا ،
وأخذنى بين ذراعيه ، وقبّل خدى فى حنو ،
وسألنى أن أعتمد عليه ، وأن أعده أبا لى ،
وقال إنه سيحبنى كما لو كنت والده .
الدوقة : واحسرتا كيف يتخذ الخداع هذا المظهر الرحيم ،
ويستتر الحقد الدنس تحت قناع من الفضل !
أجل إنه ولدى ، وذلك هو مبعث حزنى ،
ولكنه لم يرضع هذا الخداع من ثديى .

الصبى : أتظنين يا جدتى أن ذلك كان خداعاً من عمى ؟

الدوقة : نعم يا ولدى

الصبى : لا أستطيع أن أصدق . اسمعى ! ما هذا الصوت ؟

(تدخل الملكة وشعرها مرسل إلى أذنيها وخلفها ويفرز ودورست)

الملكة : أواه ! منذا الذى يستطيع الآن أن يقفنى عن البكاء
والعويل وعن أن أندب حظى وأسوم نفسى العذاب ؟
سأجعل اليأس القاتل حليفى بما فيه من هلاك روحى ،
وأناصب نفسى العداء .

الدوقة : ما سر هذا المنظر الجزع الصارخ ؟

الملكة إلزابيث : أريد أن آتى أمرا فظيعا .
لقد مات مولاى إدورد ملكنا وزوجى وولدك .
كيف تنمو الأغصان بعد أن ذوت الجذور ؟
وكيف لا تذبل الأوراق وقد جفاها ماء الحياة ؟
إن تعش تقض العمر فى البكاء : أو تمت ،
فليسرع إليها الموت
لتلحق بالملك أرواحنا الخفاقة الأجنحة .
أو فلنتبعه كالرعايا المخلصين
إلى الليل الأبدى ، مملكته الجديدة .

الدوقة : أواه ! إن لى فى حزنك نصيباً كبيرا

بقدر ما كان لى فى زوجك الجليل من نصيب .
لقد بكيت من قبل موت زوج كريم ،
ثم عشت بالنظر إليه فى وجوه أبنائه :
والآن قد حطم الموت الحقود
مرآتين كانتا تعكسان صورته النبيلة ،
ولم يبق لسلواى إلا مرآة واحدة خادعة ،
أنظر فيها بأسى إلى ما أنجبت من عار .
إنك أرملة ، ولكنك مع ذلك أم
وما زال لك فى أولادك عزاء .
أما أنا فقد اختطف الموت زوجى من ذراعى ،
وانتزع من يدى الواهنتين عمادين كلارنس وإدورد .
أواه — إنى لأجدر ، إذ كان مصابك أقل من مصابى ،
بأن أجأر بالعويل أكثر منك ،
وبأن يغطى نواحى على نواحك .
إيه يا عمّى ! إنك لم تبك لموت أبينا ،
فكيف نستطيع أن نواسيك بدموع الأقارب المماثلة .

الصبية : إنك لم تحزنى لتيتمنا بموت أبينا ،
وكذلك لن نبكى لآلامك إذا أصبحت أرملة !

الملكة إلزابث : لا تساعدانى بالنواح ،

فلست عقيما لا أستطيع أن أخلق أسبابه .
فلتصب كل الينابيع مياهها فى عينى ،
وليمدنى القمر ، المائى ، بمدد من عنده ،
حتى أغرق بالدموع العالم بأسره .
واحسرتاه على زوجى – على إدورد مولاى العزيز .
الصبيان : واحسرتاه على أبينا – على عزيزنا ، لورد كلارنس .
الدوقة : واحسرتاه على كليهما – كلاهما ولدى ، إدورد وكلارنس !
الملكة إلزابث : أى نصير كان لى غير إدورد ؟ وها هو ذا قد مات .
الصبيان : أى نصير كان لنا غير كلارنس – وها هو ذا قد مات .
الدوقة : أى نصير كان لى غيرهما وها هما ذان قد ماتا . .
الملكة إلزابث : هل أصيبت أرملة بمثل مصابى الجلل ؟
الصبيان : هل أصيب أيتام بمثل مصابنا الجلل ؟
الدوقة : وهل أصيبت أم بمثل مصابى الجلل ؟
واحسرتاه ، إنى أم لأحزان هؤلاء النادبين جميعا .
إن لكل منهم أحزانه الخاصة أما أنا فأحس كل أحزانهم .
إنها تبكى لإدورد وكذلك أبكى ؛
وأبكى أنا لكلارنس أما هى فلا تبكى ؛
ويبكى طفلا كلارنس هذان ، وكذلك أبكى ،
وأبكى أنا لإدورد أما هما فلا يبكيان .

واحسرتاه ، فليصب ثلاثتكم دموعكم علىّ
فإنى حاضنة أساكم ،
وبنواحى سأهدهده .

دورست (إلى الملكة إلزابث) : خففى عنك يا أماه ! فإن الله يسوءه
كثيراً أن تستقبلى قضاءه بمثل هذا الجحود .
إن لمن الجحود فى أمور الحياة الدنيا اليومية ،
أن يجد المرء غضاضة فى أن يؤدى ماعليه من دين ،
أعارته إياه يد كريمة حانية .
فما بالك بنكران دين الله
حين يطلب الدين الملكى الذى أعارك إياه .

ريفرز : مولاتى ، فكرى — كما ينبغى أن تفكر الأم الحازمة —
فى ولدك الأمير الصغير . أرسلى فى الحال إليه
ليلبس التاج ، ففيه يكون عزاؤك .
ولتدفنى فى قبر إدورد أساك اليائس .
ولتزرعى سعادتك فى عرشه الباقى .

(يدخل جلوستر وبكنجهام ودربى وهيستنجز وراتكلف)

جلوستر : عزاء أختاه . إن علينا جميعاً أن نبكى
أفول نجمنا المتألق ،
ولكن المصائب لا تشفى بالبكاء .

أى أمى ، معذرة فإنى لم أرك .

(يركع)

إنى أركع فى خضوع وأضرع إليك

أن تباركينى

الدوقة : فليباركك الله ، وليلق فى نفسك الرحمة والمحبة

والإحسان والطاعة والشعور الصادق بالواجب .

جلوستر : آمين ! (بينه و بين نفسه) وليكتب الله لى عمراً مديداً صالحاً .

تلك خاتمة دعوة الأم ، فليت شعرى لماذا أغفلتها جلالتها ؟

بكنجهام : أيها الأمراء الذين غام عليهم الحزن ،

أيها النبلاء الذين استبد بقلوبهم الأسى ،

أنتم يا من تحملون جميعاً عبء ذلك المصاب المشترك ،

ليمنح كل منكم العزاء لأخيه بما يبذل له من حب .

فلئن كنا قد أنفقنا حصاد هذا الملك

فلنجنين حصاد ولده .

إن قلوبكم التى صدعها الحقدُ والمرارة

قد جُبرت والتأم شملها منذ أمد قصير .

فلترفقوا بها حتى تظل مصونة مجبورة الصدع عزيزة ؛

ومن الخير فيما أرى أن نرسل الآن حاشية قليلة

العدد إلى « لدلو »[1]

---

(١) لدلو Ludluo

لتحضر الأمير الصغير إلى لندن
كى يتوج ملكا علينا .
: ولم تكون حاشية قليلة العدد ، ياسيدى اللورد بكنجهام؟
بكنجهام : حتى لا تنكأ جراح الحقد التى لم تكد تلتئم ؛
إذا نحن أحضرناه فى حشد كبير يا سيدى اللورد .
وذلك شيء وخيم العاقبة والأمور لم تستقر بعد
فى يد تتولى مقاليدها ؛
فكل جواد يمضى ، مُرْخى العنان ، على هواه ،
وكل يؤمل ما يشتهى .
وفى رأيى أنه ينبغى أن ندفع ما نتوقع من شر ،
كما ندفع شرا قائما بالفعل .
جلوستر : أرجو أن يكون الملك قد أصلح ما بيننا جميعا .
إنى لا زلت ثابتا على ما أعطيت ، من عهد .
ريفرز : وكذلك أنا ، وكذلك الآخرون فيما أعتقد ؛
على أن ذلك العهد لا يزال غضًّا ،
لا ينبغى أن يُعرض لما يمكن أن يُثير
ذهابنا فى جماعة كبيرة من خطر ؛
لهذا أوافق النبيل بكنجهام
على أنه من الخير أن يُحضر الأمير نفر قليل

هيستنجز : وهذا هو رأيي أنا أيضا .

جلوستر : فليكن ذلك ، ولنمض الآن
لنرَ من سيذهبون من فورهم إلى « لدلو » .
سيدتي ، وأنت يا أمي ، هل لكما أن تذهبا
لتبديا رأيا في هذا الأمر .

الملكة إلزابث والدوقة : من كل قلبينا

(يخرج الجميع ما عدا بكنجهام وجلوستر)

بكنجهام : مهما يكن من أمر الذاهبين إلى الأمير ، ياسيدي اللورد ،
فإني بحق الله أرجو ألا نقعد عن الذهاب معهم ؛
وبطريقة ما سأدبر الأمر كي نبعد أقارب الملكة
الأقوياء عن الأمير ،
تمهيداً لما اتفقنا عليه أخيرا .

جلوستر : أي صنو نفسي . وناصحي الأمين ،
أي كاهني ونبيئي ! يابن عمي العزيز !
سأعمل كالطفل بتوجيهك ،
فهلم إذن إلى « لدلو » ، فلن نقعد عن الذهاب معهم

(يخرجان)

الفصل الثانى

المنظر الثالث

لندن — شارع

(يدخل مواطنان ويلتقيان)

المواطن الأول : مرحبا أيها الجار ، إلى أين تمضى بهذه السرعة ؟

المواطن الثانى : أؤكد لك أنى أنا نفسى لا أكاد أعرف !
هل سمعت ما ذاع من نبأ ؟

المواطن الأول : أجل إن الملك قد مات .

المواطن الثانى : إنه لنبأ سيئ وحق العذراء ، وإن الخبر الطيب لشىء نادر ؛
وإنى لأخشى ، وأخشى أن نكون مقدمين على فترة قلاقل .

(يدخل مواطن ثالث)

المواطن الثالث : أى جارىّ — هيأ الله لكما الخير !

المواطن الأول : وجعل صباحك طيباً ، يا سيدى .

المواطن الثالث : أو صح النبأ عن موت الملك إدورد ؟

المواطن الثانى : أجل يا سيدى ، إنه صحيح. كان الله فى عوننا الآن .

المواطن الثالث : إذن فتوقعا أيها السيدان فترة قلاقل .

المواطن الأول : لا — لا ، فسيحكم ابنه بفضل الله .

المواطن الثالث : الويل لدولة يحكمها طفل !

المواطن الثانى : إن لنا أملا فى حكم صالح على يديه .
فلا شك أن القيمين عليه
سيحسنون الحكم إلى أن يبلغ الرشد ؛
وسيحسنه هو حين يبلغ تلك السن .

المواطن الأول : هكذا كانت حال الدولة
حين توج هنرى السادس بباريس وسنه تسعة أشهر .

المواطن الثالث : أهكذا كانت حال الدولة ؟ لا ، لا يا صديقى الكريمين ،
علم الله ! كانت هذه البلاد
معروفة حينئذ بما فيها من ساسة أجلاء كثيرين ،
وكان للملك أعمام خيرون يحمونه .

المواطن الأول : عجبا وكذلك لهذا الملك أعمام وأخوال .

المواطن الثالث : كان خيراً لو كانوا جميعا أعماما
أو لو لم يكن له أعمام قط ،
فإن التنافس على التقرب إليه الذى يحيق بنا الآن
سيدنى منا جميعاً المصائب إن لم يحمنا الله منها .
ألا ما أخطر الدوق جلوستر !
ثم إن أبناء الملكة وإخوتها صلفون متكبرون .
ليتهم حكموا بدل أن يكونوا هم الحاكمين ،
إذن لسعدت هذه البلاد المنكوبة كما كانت من قبل .

المواطن الأول : مهلا .مهلا ، إننا نتوقع أسوأ ما يمكن أن يكون ،
وسينتهى كل شىء إلى خير .

المواطن الثالث : حين تلوح السحب يلبس الحصفاء معاطفهم ،
وحين تسقط الأوراق القوية فإن ذلك نذيرا بالشتاء .
وحين تغرب الشمس فمن ذا الذى لا يرتقب الليل ؟
إن الناس يتوقعون القحط بعد العواصف المفاجئة .
وقد ينتهى كل شىء إلى خير .
على أنه إذا أراد الله ذلك ، فسيكون أكثر مما نستحق ،
ومما أتوقع .

المواطن الثانى : حقا إن الخوف يملأ نفوس الناس ،
حتى أنك لا تكاد تتحدث إلى إنسان
لا يثقله الهم والخوف .

المواطن الثالث : هكذا تكون الحال دائما قبل كل تغير كبير ،
فللناس غريزة ملهمة تدفع عقولهم
إلى توقع المقبل من الأخطار ،
كما نشاهد ثورة الأمواج قبل هبوب عاصفة هوجاء .
ولكن ، لندع الأمر كله لله . إلى أين ؟

المواطن الثانى لقد طلبنا إلى المحكمة

المواطن الثالث : وكذلك طلبت أنا ــ سأصحبكما

(يخرجون)

الفصل الثانى

المنظر الرابع

لندن. القصر

(يدخل رئيس أساقفة يورك ، ودوق يورك الصغير ، والملكة إلزابث ، ودوقة يورك)

رئيس الأساقفة : سمعت أنهم باتوا البارحة عند نورثامبتون[١]
ولاشك أنهم يبيتون الليلة فى « ستونى ستراتفورد »[٢]
وسيصلون إلى هنا غدا أو بعد غد .

الدوقة : إن قلبى يفيض شوقا لرؤية الأمير .
عساه أن يكون قد شب منذ رأيته آخر مرة .

الملكة إليزابث : ولكنى سمعت أنه لم يكبر ،
ويقولون إن ولدى يورك قد أوشك أن يكون فى مثل طوله .

يورك : نعم يا أمى ، وإن كان ذلك لا يسرنى .

الدوقة : ولم لا يا حفيدى الصغير ؟ أن من الخير أن ينمو المرء

يورك : ذات مساء يا جدتى وقد جلسنا للعشاء ،
تحدث خالى ريفرز عن نموى بأسرع مما نما أخى .

---

(١) نورثمبتون Northampton

(٢) ستونى ستراتفوب Stony-Stratford

فقال عمى جلوستر : « نعم ، إن الأعشاب المفيدة
تكون صغيرة رقيقة
أما الحشائش الخبيثة فتنمو بسرعة فائقة »
ومنذ ذلك الحين وأنا لا أشتهى أن أنمو بهذه السرعة
لأن الأزهار الجميلة بطيئة النمو ، على حين تربو
الحشائش على عجل .

الدوقة : تا لله إن المثل لم يصدق
على من لم يرضَ عن نموك السريع .
فقد كان أضأل ما يكون وهو صغير .
وقد أبطأ فى النمو وعلى مهل ،
ولو صحت القاعدة لكان رقيقاً .

رئيس الأساقفة : ولا ريب أنه لكذلك ، يا مولاتى الكريمة .

الدوقة : أرجو أن يكون كذلك ، ولكن من حق الأمهات
أن يجدن بعض الريب .

يورك : وأيم الحق لو فطنت إلى ذلك ،
لسخرت من نمو عمى الدوق
بأشد مما سخر من نموى .

الدوقة : وكيف يا يوركى العزيز ؟ بالله أسمعنى .

يورك : يقولون إن عمى كان سريع النماء

حتى لقد كان يستطيع أن ينفذ أسنانه فى كسرة
جافة بعد ساعتين من مولده ،
أما أنا فلم تنمُ لى سن واحدة قبل أن أبلغ من العمر
عامين كاملين ،
وقد كان ذلك حريا بأن يكون سخرية لاذعة
ياجدتى الدوقة .

الدوقة : قل لى من أنبأك بهذا يا يوركى العزيز ؟

يورك : حاضنته يا جدتى .

الدوقة : حاضنته ! كيف ؟ لقد ماتت قبل أن تولد

يورك : إن لم تكن هى فلا أستطيع أن أقول من أنبأنى[1]

الملكة إلزابث : يا لك من ولد ثرثار ! اذهب فإنك فى غاية المكر .

رئيس الأساقفة : مولاتى الجليلة لا تغضبى على الطفل .

الملكة إلزابث : إن للأباريق آذانا (يدخل رسول)

رئيس الأساقفة : ها قد أقبل رسول — ما وراءك من أنباء ؟

الرسول : أنباء يحزننى أن أقولها يا مولاى .

الملكة إلزابث : كيف حال الأمير ؟

الرسول : بخير وعافية يا مولاتى .

الدوقة : فما أنباؤك تلك إذن ؟

(١) إشارة إلى أن أمه هى التى أنبأته .

الرسول : لقد حُمل اللورد ريفرز واللورد جراي إلى «بومفرت»[١]
هما وسير توماس فوجان ، حيث ألقى بهم فى السجن .

الدوقة : ومن أمر بهذا ؟

الرسول : الدوقان العظيمان جلوستر وبكنجهام .

رئيس الأساقفة : بأى ذنب؟

الرسول : لقد ذكرت كل ما أعرف .
ولست أدرى لم سجن هؤلاء النبلاء ،
ولا بأى ذنب يا سيدى الكريم .

الملكة إلزابث : لهف نفسى ، أنى لألمح خراب أسرتنا ؛
فلقد أمسك النمر بالظبى الوديع ،
وبدأ الطغيان الصلف يمد سلطانه
على العرش البرىء الضعيف .
مرحبا أيها الدمار ، أيتها الدماء ، أيتها المذابح !
إنى لأرى نهاية كل شىء كما لو كنت أراها فى رسم مخطوط .

الدوقة : أيتها الأيام اللعينة المليئة بالشحناء الصاخبة ،
كم قد رأت عيناى منك !
لقد فقد زوجى حياته فى سبيل التاج ،

(١) بومفرت Pomfret

وتقلبت الأحوال كثيرا بأبنائى بين خير وشر ، وتقلبت
أنا كذلك بين السعادة بنصرهم ، والبكاء لخسارتهم ؛
فلما استقر لهم الأمر وقضوا على الخلافات الداخلية
إذاهم يحارب بعضهم بعضا . فالأخ عدو أخيه
والدم عدو الدم والنفس عدو النفس !
إيه أيتها الأهواء المضطربة المجنونة .
أنهى حقدك اللعين !
أو أنزلى بى الموت حتى لا تقع عيناى على الموت من بعد !

الملكة إلزابث : تعال — تعال يا ولدى ، فسنلجأ للاحتماء بحرمة الكنيسة .
إلى اللقاء يا سيدتى

الدوقة : مهلا ، فسأذهب معكما .

الملكة إلزابث : ليس ثمة ما يدعوك إلى هذا .

رئيس الأسقفة : اذهبى يا مولاتى الكريمة واحملى معك ذخائرك وأموالك .
وسأسلم إليك الخاتم[1] الذى أحتفظ به .
وليكافئنى الله بقدر ما أرعاك وأرعى ذوى قرباك .
هلموا ، فسأمضى بكم إلى حرمة الكنيسة .

(يخرجون)

---

(١) خاتم الدولة الذى كان يحفظه لأنه كبير القضاة .

الفصل الثالث

المنظر الأول

لندن . شارع

(تنفخ الأبواق–يدخل الأمير الصغير ودوق جلوستر وبكنجهام والكردينال بوشييه وكاتسبى وآخرون) .

بكنجهام : مرحبا بك فى لندن عاصمتك ومثواك أيها الأمير العزيز ؛

جلوستر : مرحبا بك يا ابن أخى ويا مدار أفكارى
لقد علاك الطريق الشاق بمسحة من الحزن .

الأمير : لا يا عماه – ولكن ما لقيناه من متاعب
جعل الطريق مملا متعبا ثقيلا .
وددت لو كان لى هنا أخوال أكثر ليرحبوا بى ،

جلوستر : أيها الأمير العزيز – إن براءة سنك الصغيرة التى لم تشبها شائبة
لم تخض بعد فيما يكتنف الحياة من خداع ،
فأنت لا تستطيع أن تحكم على المرء إلا بمظهره .

والمظهر – علم الله – قليلا ما يتفق مع طوية القلب ،
بل إنه قد لا يتفق معها أبداً .
إن هؤلاء الأخوال الذين تفتقدهم كانوا خطرا عليك؟
وقد استمعت إلى أقوالهم المعسولة ،
ولكنك لم تطلع على ما فى قلوبهم من سم .
حماك الله منهم ومن أمثالهم من الأصدقاء الزائفين !

الأمير : حمانى الله من الأصدقاء الزائفين ! ولكنهم لم يكونوا كذلك

جلوستر : مولاى – لقد جاء عمدة لندن لتحيتك .

(يدخل عمدة لندن وحاشيته)

العمدة : وهب الله سموك الصحة والحياة السعيدة .

الأمير : شكرا أيها اللورد العزيز . وشكرا لكم جميعا .
لقد توقعت أن تخرج أمى وأخى يورك للقائنا فى الطريق
قبل أن نصل بوقت طويل .
عار على هيستنجز الكسول
إذا لم يأت لينبئنا أيحضران !

(يدخل لورد هيستنجز)

بكنجهام : لقد جاء اللورد فى الوقت المناسب ، يتصبب عرقا ،

الأمير : مرحبا يا سيدى اللورد — هل ستحضر أمنا ؟
هيستنجز : لقد لجأت أمكم الملكة وأخوكم يورك
إلى حمى الكنيسة لسبب يعلمه الله لا أنا .
وكان الأمير الرقيق يود
لو جاء معى ليلتقى سموكم ،
ولكن أمه أجبرته على البقاء .
بكنجهام : يا للعار ! يا له من سلوك معوج نزق لا يليق بها .
سيدى الكردينال —هل لقد استلك أن تقنع الملكة
بأن ترسل دوق يورك
فى الحال إلى أخيه الأمير ؟
فإن أبت فاذهب معه يا لورد هيستنجز
وانتزعه بالقوة من بين ذراعيها الغيورتين .
الكردينال : سيدى اللورد بكنجهام ، إذا استطاع بيانى
الضعيف أن يظفر بالدوق يورك من أمه ،
فستراه هنا بعد وقت قصير ،
أما إذا استعصت على الرجاء الرقيق
فإن الله فى سماه لا يرضى
أن نعتدى على حرمة ذلك الحمى المقدس ! .
ولن أقترف ذلك الإثم الكبير

ولو ملكت كل هذه الأرض .

بكنجهام : إنك عنيد عنادا لا معنى له يا سيدى .
مسرف فى التزمت والمحافظة .
ولو أنك نظرت إلى الأمر بروح هذا العصر السمح ،
لما وجدت فى إخراجه اعتداء على حمى الكنيسة .
لقد كان هذا الحمى دائما من حق
أولئك الذين استحقوه بما أدوه من فعال :
أو من أوتوا الفطنة ليدعوا ذلك الحق .
والأمير لم يدع ذلك الحق ، ولم يأت ما يجعله يستحقه ؛
لذلك فهو فى رأيى لا يملك هذا الحق ؛
وإذن فلن تعتدى على حق ولا حرمة
إذا أخرجته من ذلك الحمى الذى لا حق له فيه .
لقد سمعت كثيرا عن رجال لجأوا إلى حمى الكنيسة ،
ولكنى لم أسمع قبل اليوم بأطفال فعلوا ذلك .

الكردينال : لقد حولتنى عن رأيى هذه المرة يا سيدى .
هيا يا لورد هيستنجز ، هلا ذهبت معى ؟

هيستنجز : سأصحبك يا سيدى اللورد .

الأمير : عجلا قدر طاقتكما أيها السيدان الكريمان .

(يخرج الكردينال وهيستنجز)

أى عمى جلوستر ، إذا جاء أخونا
فأين نقيم حتى يحين موعد تتويجنا .

جلوستر : حيث تحبون سموكم ،
ولكن إذا كان لى أن أقول رأيى
فإنى أرى أن تستريح سموكم يوما أو يومين فى البرج ،
وبعدها تنتقل إلى خير مكان
يلائم صحتك وراحتك .

الأمير : إنى أكره البرج من بين الأماكن جميعا .
أصحيح يا سيدى اللورد أن يوليوس قيصر هو الذى
بناه ؟

بكنجهام : أجل يا مولاى الكريم . لقد كان أول من بناه
ثم أعادت بناءه الأجيال المتعاقبة .

الأمير : أتلك حقيقة مسجلة ،
أم تناقلها الناس من جيل الى جيل ؟

بكنجهام : إنها مسجلة يا مولاى الكريم .

الأمير : ومع ذلك فيخيل إلى أنها لو لم تسجل ،
فإن الحقيقة تظل حية تنتقل من جيل الى جيل ،
يرويها الخلف جميعا حتى يوم القيامة .

جلوستر (بينه وبين نفسه) : يقال فى المثل إن الصغار النوابغ لا يعمرون.

الأمير : ماذا تقول يا عمى ؟

جلوستر : أقول إن المجد يعمر وإن لم يسجل فى كتاب
(بينه وبين نفسه) وهكذا أعبر — مثل شخصية[1] الظلم
المعهودة — عن معنيين فى كلمة واحدة .

الأمير : لقد كان يوليوس قيصر رجلا مجيدا .
بما زادته بسالته على حدة عقله ،
فصمم عقله على تخليد بسالته :
ولن يستطيع الموت أن يقهر ذلك الفاتح ،
فإنه ما زال يعيش فى مجده وإن لم يعد يعيش فى الحياة .
أى ابن العم بكنجهام !

بكنجهام : ماذا ، يا سيدى الكريم ؟

الأمير : إن عشت حتى أبلغ مبلغ الرجال
فسأستعيد حقنا القديم فى فرنسا
أو أموت جنديا كما عشت ملكا .

جلوستر (بينه وبين نفسه) : إن الصيف القصير يسبقه فى
العادة ربيع مبكر

(يعود هيستنجز والكردينال وفى صحبتهما يورك)

---

(١) كانت الرذائل فى المسرحيات القديمة تتجسد فى صورة أشخاص ، وجلوستر يشير هنا إلى قوله « إن المجد يعمر » ويقصد به فى الحقيقة مجده هو .

بكنجهام : ها قد جاء دوق يورك ولم تطل غيبته .

الأمير : أى رتشارد دوق يورك ! كيف حال أخينا الحبيب ؟

يورك بخير أيها السيد المهيب . كذا يجب أن أدعوك الآن

الأمير : أجل يا أخى ، وإنه ليحزننا كما يحزنك

أن نذكر قريبا موت من كان جديرا بهذا اللقب .

لقد فقد اللقب بموته كثيرا من جلاله .

جلوستر : كيف حال ابن أخى دوق يورك النبيل ؟

يورك : أشكرك يا عمى العطوف .

مولاى لقد قلت إن الحشائش التى لا غناء فيها سريعة النماء ؟

وهاهو ذا أخى الأمير قد سبقنى فى النمو إلى حد بعيد ؟

جلوستر : هذا حق يا سيدى

يورك : أهو إذن لا غناء فيه ؟

جلوستر : ما ينبغى أن أقول هذا يا ابن أخى ، أيها العزيز ،

يورك : إذن فإن سلطانه عليك يفوق سلطانى .

جلوستر : إنه مليكى ويستطيع أن يأمرنى ،

أما أنت فإنى أشد أزرك كما ينبغى لذى القربى .

يورك : أرجو يا عم أن تعطينى هذا الخنجر .

جلوستر : خنجرى يا ابن أخى الصغير ! بكل سرور

الأمير : أو تستجدى يا أخى ؟

يورك : من عمى الكريم — وأعرف أنه سيعطينى إياه ،
فليس هذا الخنجر إلا لعبة لا يُحزن المرء أن يهبها

جلوستر : سأمنح ابن أخى هدية أعظم من هذا .

يورك : هدية أعظم من خنجرك ! إذن فأعطنى سيفك معه

جلوستر : لو كان خفيفا كما ينبغى لأعطيتك إياه يا ابن أخى .

يورك : قد عرفت إذن أنك لا تحب أن تهب إلا الخفيف من الهدايا .
وسترد السائل إذا سألك شيئا ثقيلا .

جلوستر : إنه أثقل من أن تحمله سموك .

يورك : لن أقيم له وزنا ولو كان أثقل من هذا .

جلوستر : ماذا! أتريد أن تأخذ سلاحى أيها الأمير الصغير ؟

يورك : أجل لكى أشكرك شكرا يشبه تسميتك إياى .

جلوستر : كيف ؟

يورك : صغيرا .

الأمير : إن لورد يورك لايزال يبدى الغضب فى حديثه يا عم ،
ولا شك أنك ستحتمل ذلك منه .

يورك : تعنى يحملنى لا يحتملنى .
إن أخى يسخر منك ومنى معاً يا عم ،

فإنه يظن – لأنى صغير كالقرد –
أنك تستطيع أن تحملنى على كتفياك[1] .

بكنجهام : يا له من متحدث لبق سريع البديهة !
فقد عاب نفسه على نحو طريف بارع ،
لتحتمل له سخريته من عمه .
إنه لشيء رائع أن يكون فى مثل تلك السن
الصغيرة وفيه هذا الدهاء .

جلوستر : سيدى الأمير ، هلا تفضلت بالذهاب ؟
بينما أذهب أنا
وابن العم الكريم بكنجهام إلى أمكما
لأسألها أن تلقاك فى البرج وترحب بك .

يورك : ماذا ! أتذهب إلى البرج يا مولاى ؟

الأمير : تلك رغبة سيدى اللورد الوصى .

يورك : لن يهدأ لى نوم فى البرج .

جلوستر : ولم لا ؟ ماذا يخيفك منه ؟

يورك : ويحى ! شبح عمى كلارنس الغضوب ،
فقد أنبأتنى جدتى أنه قتل هناك .

الأمير : لست أخشى الموت من أعمامى .

---

(١) فى هذا سخرية من جلوستر إذا كان أحدب (كما صوره شيكسبير)

جلوستر : ولا الأحياء فيما أرجو .

الأمير : أرجو ألا أضطر إلى ذلك إن قدرت لهم الحياة .
أما الآن فهيا بنا ياسيدى اللورد فسأذهب إلى البرج
والحزن يثقل قلبي لذكراهم .

(صوت بوق – يصحب هستنجز والكردينال الأميرين ويتركان
جلوستر وبكنجهام وكاتسبى) .

بكنجهام : ألا تظن يا سيدى اللورد
أن يورك ذلك الثرثار الصغير قد دفعته أمه الأريبة
إلى السخرية بك، والنيل منك على هذا النحو الزرى ؟

جلوستر : بلا ريب ، بلا ريب .
آه ! إنه لصبي خطير، جرىء، حاضر البديهة ،
بارع مقدام قدير. إنه كأمه من قمة رأسه إلى أخمص
قدمه .

بكنجهام : دعك الآن منهما ، هلم يا كاتسبي
لقد أقسمت يمينا مغلظة أن تنفذ ما اعتزمناه
وأن تحتفظ به سرا .
ولقد علمت ما دار حوله حديثنا فى الطريق .
فماذا ترى أليس من العسير
أن نستطيع أن نقنع اللورد وليام هيستنجز

بما نراه من تنصيب هذا الدوق النبيل
ملكا على عرش تلك الجزيرة المجيدة ؟
كاتسبى : إنه يحب الأمير — من أجل أبيه — حبا جما ،
حتى ليستحيل إقناعه بأية وسيلة لينقلب ضده .
بكنجهام : وما رأيك فى ستانلى إذن ؟ ماذا يكون موقفه ؟ :
كاتسبى : سيفعل مثلما يفعل كاتسبى تماما .
بكنجهام : إذن فليس أمامنا إلا هذا .
تذهب يا كاتسبى الكريم وتستطلع فى لباقة
رأى اللورد هيستنجز فيما اعتزمناه ،
وتدعوه غدا إلى البرج ليحضر المجلس
الذى سينظر فى أمر التتويج .
فإن رأيت منه ميلا إلينا
فشجعه وبين له حججنا .
أما إن رفض رفضا ثقيلا كالرصاص ، باردا كالثلج ،
فكن مثله واقطع حديثك معه وأخبرنا بنيته .
فسنعقد غدا مجلسين منفصلين (١)
وستشغل بهما انشغالا كبيراً
جلوستر : بلغ تحياتى إلى اللورد وليام ، وقل له يا كاتسبى ،

(١) مجلس خاص بخلاف المجلس العام .

إن رؤوس تلك الجماعة من خصومه القدماء
ذوى الخطر لتقطع غدا فى قلعة بومفرت .
وهنىء صديقى بذلك النبأ السار ،
واحمل كذلك قبلة حانية منى إلى السيدة «شور»

بكنجهام : اذهب يا كاتسبى العزيز وأنفذ هذا الأمر فى حكمة .

كاتسبى : سأبذل كل جهد يا سيدىّ اللوردان الكريمان

جلوستر : هل نراك قبل أن ننام يا كاتسبى ؟

كاتسبى : أجل يا سيدى اللورد .

جلوستر : ستجدنا كلينا فى قصر كروسبى (يخرج كاتسبى)

بكنجهام : والآن يا سيدى ماذا ترانا نفعل
إن عرفنا أن اللورد هيستنجز لن يستجيب لخططنا ؟

جلوستر : نضرب عنقه يا رجل — ذلك ما سنفعل .
وحين أظفر بالملك فاسألنى أن تكون إيرل « هيرفورد »[1]
وتحوز كل ما كان لأخى الملك من مقتنيات منقولة .

بكنجهام : سأسأل تحقيق هذا الوعد من يديك يا سيدى اللورد

جلوستر : وسنعطيك إياه برغبة صادقة .
والآن فلنتناول العشاء
ثم ننظر بعد ذلك فى إحكام خططنا .
(يخرجون)

---

(١) هيرفورد (Hereford)

الفصل الثالث

المنظر الثانى

أمام بيت اللورد هيستنجز : الوقت ليل

(يطرق الباب « يدخل رسول » ويقف دون باب هيستنجز)

الرسول : سيدى اللورد ! سيدى اللورد !

هيستنجز (من الداخل) : من الطارق ؟

الرسول : رسول من اللورد ستانلى

هيستنجز (من داخل) : كم الساعة ؟

الرسول : أوشكت على الرابعة (يفتح هيستنجز الباب)

هيستنجز : ألا يستطيع سيدى اللورد ستانلى النوم فى هذه الليالى الطويلة الثقيلة ؟

الرسول : يبدو أنه لا يستطيع ، وربما أدركت هذا بعد أن تسمع رسالته ،
وهو يبدأ فيبعث بتحياته إلى مقامك الجليل .

هيستنجز : ثم ؟ ثم يقول ، لنبالتك ، إنه قد رأى الليلة فى المنام

الرسول : إن الخنزير البرى هاجمه وأسقط خوذته ؛

ويقول إن ثمة مجلسين ينعقدان غدا ،
وربما تقرر فى أحدهما ما يجعلك
أنت وهو تأسفان على ما دار فى الآخر ؛
لذلك أرسلنى لأسأل عظمتك
هل تحب أن تركب معه فى الحال ،
لترحلا سريعا إلى الشمال
حتى تتجنبا الخطر الذى توقعته نفسه فى الحلم الذى رآه .

هيستنجز : اذهب يا رجل — اذهب . عد إلى مولاك
وأخبره ألا يخاف المجلسين المنفصلين ؛
فسيشهد كلانا المجلس الأول ،
ويحضر الآخر صديقى الكريم كاتسبى ،
فإذا دار هناك أى شىء يهمنا
فسينبئنا به .
قل له إن مخاوفه لا مبرر لها من الواقع ،
أما أحلامه فإنه لا ينبغى أن يكون من السذاجة
بحيث يصدق أضغاث الأحلام ،
تلك التى يوحى بها إليه نوم غير مطمئن .
إن فرارنا أمام الخنزير ، قبل أن يتبعنا ،

سيغريه بأن يطاردنا وإن لم ينو ذلك من قبل .
اذهب ، واسأل مولاك أن ينهض . ويحضر إلىّ ؛
لكى نذهب معا إلى البرج ،
وسيرى هناك كيف يكون الخنزير رفيقا معنا .

الرسول : سأمضى وأبلغ رسالتك إليه يا سيدى اللورد (يخرج)

(يدخل كاتسبى)

كاتسبى : سعد إصباحك دائماً ، يا سيدى اللورد النبيل !

هستنجز : سعد صباحك يا كاتسبى . لقد نهضت مبكرا .
ما الأنباء ؟ ما أنباء دولتنا المتداعية ؟

كاتسبى : حقا ! إنه لعالم مترنح ، يا سيدى اللورد ؛
وما أظن أن أمره سيستقيم أبدا
إلا أن يلبس رتشارد إكليل المملكة .

هيتنجز : كيف ؟ يلبس الإكليل ! أتعنى التاج ؟

كاتسبى : أجل يا سيدى اللورد .

هيستنجز : إنى لأوثر أن يطاح بتاج رأسى[1] الذى أحمله على كتفى ؛
قبل أن أرى التاج يوضع فى غير موضعه على هذا النحو الزرى .

---

(١) يعنى رأسه . والكلمة بالإنجليزيه تعنى التاج والرأس معاً .

ولكن أتظنه يسعى إلى ذلك ؟

كاتسبى : أجل، لعمرى . وهو يأمل أن يراك سريعا إلى جانبه ،
لما سيكون فى ذلك من خير لك .
لذلك أرسلنى بهذا النبأ السار .
إن أعداءك من أقرباء الملكة
سيقتلون بلا ريب اليوم فى « بومفرت » .

هيستنجز : حقا إن هذا النبأ لا يحزننى ،
فإنهم كانوا ، ولا يزالون ، أعدائى .
أما أن أنحاز إلى جانب رتشارد ،
لأحول بين ورثة مولاى وبين حقهم المشروع فى العرش ؛
فالله يعلم أنى لن أفعل ذلك ولو متّ دونه .

كاتسبى : أدام الله وفاءك يا سيدى اللورد .

هيستنجز : ولكن العام لن ينقضى حتى أضحك من هذا ،
حين أشهد مأساة أولئك
الذين حاولوا أن يدفعونى إلى عداء مولاى .
أقول لك يا كاتسبى . .

كاتسبى : ماذا ، يا سيدى ؟ .

هيستنجز : لن ينقضى أسبوعان حتى أقضى على بعض الناس

دون أن يتوقعوا من ذلك شيئا .

كاتسبى : إنه لشىء فظيع ، يا سيدى اللورد الكريم ،
أن يقتل المرء على غرة .

هيستنجز : أوه ! إنه بشع ! وهكذا سيكون وقعه
عند ريفرز وفوجان وجراى .
وهكذا سيكون وقعه عند غيرهم ،
أولئك الذين يظنون أنفسهم ،
مثلى ومثلك ، بمأمن من الخطر ،
أولئك الذين يحبهم الأميران رتشارد وبكنجهام
كما تعلم .

كاتسبى : إن الأميرين يقدران ما لك من شأن رفيع .
(بينه وبين نفسه) فإنهما يقدران أن رأسه قد اتخذ
مكانه الرفيع على الجسر[1]

هيستنجز : أعلم هذا عنهما . وإنى لأهل له .
(يدخل لورد ستانلى)
أهلا — أهلا — أين رمحك يا رجل ؟
أتخاف الخنزير البرى وتمضى هكذا بغير سلاح !

ستانلى : صباح الخير ، يا سيدى اللورد . صباح الخير
يا كاتسبى

(١) يعنى أن رأسه سيعلق على جسر لندن بعد إعدامه كما كان متبعاً .

تستطيع أن تسخر من ذلك ،
ولكنى أقسم بحق الصليب المقدس أنى أنا
لا أطمئن إلى هذين المجلسين ، المنفصلين .

هيستنجز : سيدى ،
إنى حريص على حياتى حرصك على حياتك ،
بل إنى لأؤكد بأنى لم أكن يوما أحرص منى
عليها الآن .
أتظن أنى أستطيع أن أكون مبتهجاً ، كما ترانى ،
لو لم أكن مطمئنا على سلطاننا ؟

ستانلى : لقد كان اللوردات الذين يقيمون الآن فى سجن بومفرت
مبتهجين حين ركبوا من لندن ،
وكانوا مطمئنين على سلطانهم ، ولم يكن هناك ،
حقا ، ما يبعثهم على الريبة .
ومع ذلك فأنت ترى كيف تلبد يومهم سريعا بالغيوم .
إنى لأخشى طعنة الحقد الغادرة .
واسأل الله أن تثبت الحوادث أنى كنت جبانا
دون داع إلى الجبن !
هلا ذهبنا إلى البرج ؟ فقد أوشك اليوم[1] أن ينصرم .

(١) فى البيت الخامس فى أول هذا المنظر يذكر أن الساعة « أوشكت الرابعة »

هيستنجز : هلم بنا — هلم — أو تعلم ، يا سيدى اللورد ،
أن السادة الذين تتحدث عنهم ستضرب أعناقهم
اليوم ؟

ستانلى : إنهم بإخلاصهم يستحقون أن يحتفظوا برؤوسهم
أكثر مما يستحق بعض الذين اتهموهم أن يلبسوا
قبعاتهم .
ولكن هلم بنا يا سيدى اللورد (يدخل رسول رسمى)

هيستنجز : فلتذهب أنت الآن ريثما أتحدث إلى هذا الفتى الطيب .

(يخرج ستانلى وكاتسبى)

ماذا وراءك يا فتى ! وكيف حالك ؟

الرسول : إن سؤال عظمتكم عن حالى يجعلنى فى خير حال .

هيستنجز : أما عن حالى فإنى أقول لك يا رجل ،
إنها الآن أسعد مما كانت عليه حين التقينا آخر مرة ؛
فقد كنت حينئذ فى طريقى إلى سجن البرج
بإيحاء من شيعة الملكة ؛
أما الآن فإنى أنبئك بخبر أرجو أن تحتفظ به سرا ،

صباحاً مما يجعل وقت المنظر لا يوافق قوله أوشك اليوم أن ينصرم . وهذا مرجعه إلى الخطأ
أو سهو من المؤلف نفسه .

إن هؤلاء الأعداء سيعدمون اليوم ،
ولم تكن حالى فى يوم خيرا مما هى الآن .

الرسول : أدام الله على عظمتكم الخير والرضى

هيستنجز : شكرا عظيما . أيها الفتى . خذ واشرب نخبى

(يرمِ إليه بكيسه)

الرسول : أشكر عظمتك

(يخرج) (يدخل قسيس)

القسيس : أهلا سيدى اللورد — إنى سعيد برؤية عظمتك .

هيستنجز : أشكرك من صميم قلبى ياسيدى الكريم السير[1] جون .
إنى مدين لك بما أديتَ من طقوس ؛
ولكن عد السبت التالى ، تجد ما يرضيك .

(يهمس فى أذنه)

القسيس : سأقوم على خدمتك .

(يدخل بكنجهام)

بكنجهام : ماذا ! أيتحدث اللورد ، كبير أمناء القصر ، إلى قسيس ؟
إن أصدقاءك فى « بومفرت » ، هم الذين يحتاجون إليه ؛

---

(١) كان لقب سير يمنح فى تلك الأيام لمن يحمل شهادة عالية فى علوم الدين .

أما عظمتك فلا حاجة بك الآن إلى الاعتراف .

هيستنجز : بالله لقد ذكرت أولئك الذين تتحدث عنهم حين لقيت هذا القسيس . اذهب أنت إلى البرج ؟

بكنجهام : أجل يا سيدى اللورد . ولكنى لن أمكث طويلا ، فسأعود من هناك قبل أن تعود عظمتك[1]

هيستنجز : هذا صحيح فسأبقى لأتناول الغداء هناك .

بكنجهام : (لنفسه) والعشاء أيضا ، وإن كنت لا تدرى . (يجهر بالقول) أذاهب أنت الآن ؟

هيستنجز : أجل ــ سأذهب فى خدمتك .

(يخرجون)

---

(١) إشارة إلى أنه لن يعود أبداً .

الفصل الثالث

المنظر الثالث

قلعة بومفرت (Pomfret)

(يدخل سير رتشارد راتكليف وحملة الرماح يسوقون ريفرز وجراى وفوجان إلى الموت)

راتكليف : هيا — تقدموا بالسجناء .

ريفرز : دعنى أقل لك ، يا سير رتشارد ،
إنك ستشهد اليوم ، موت واحد من رعية الملك ،
لإخلاصه وولائه واتباعه الحق .

جراى : حمى الله الأمير من طغمتكم جميعا !
فأنتم عصبة لعينة من مصاصى الدماء .

فوجان : ستعيش حتى تبكى ندما على هذا .

راتكليف : هيا فقد حان أجلكم .

ريفرز : أى بومفرت ، أى بومفرت ! أيها السجن الدموى ،
يا تهلكة السادة النبلاء وشقاءهم !
بين جدرانك اللعينة !
مزقت السيوف رتشارد الثانى .
وها نحن أولاء نمنحك دماءنا النبيلة لتشربها .

ويزداد مقرك المشئوم عارا بين الناس .

جراى : لقد حلت على رؤوسنا لعنة مرجريت ،
عندما صرخت مستنجدة بهيستنجز ، وبك ، وبى ،
فلم نحرك ساكنا ونحن نرى رتشارد يطعن ولدها .

ريفرز : لقد استنزلت اللعنات على هيستنجز ،
ثم على رتشارد ، ثم على بكنجهام . رب فلا
تنس دعاءها عليهم ، كما سمعت دعاءها علينا .
ولتكن دماؤنا يا ربى الكريم ،
دماؤنا التى ستراق — كما تعلم — دون ذنب ،
كفارة عن أختى وولديها الأميرين .

راتكليف : هيا فقد حانت ساعة الموت .

ريفرز : فلنتعانق ونودع بعضنا بعضا
أى جراى وفوجان إلى أن نلتقى فى السماء .
(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الرابع

برج لندن

(يدخل بكنجهام ودربى وهيستنجز وأسقف أيلى و راتكليف ولوفل مع آخرين ، و يجلسو إلى منضدة) .

هيستنجز : وبعد ، أيها السادة النبلاء ،
لقد اجتمعنا لكى نحدد يوما للتتويج .
فقولوا بالله ! متى يكون ذلك اليوم الملكى ؟
بكنجهام : أأعدّ كل شىء لذلك اليوم الملكى ؟
دربى : أجل ولم يبق إلا أن نحدده .
إيلى : إن غدا ليوم ميمون فيما أرى.
بكنجهام : من منكم يعرف رأى اللورد الوصى ؟
أيكم أقرب إلى الدوق النبيل ؟
إيلى : أظن أن عظمتك تستطيع أن تعرف رأيه بأسرع مما نستطيع
بكنجهام : من ! أنا يا سيدى ؟
كلانا يعرف وجه صاحبه

أما عن قلوبنا فإنه لا يعرف عن قلبي ، أكثر
مما أعرفه عن قلبك ،
ولا أعرف عن قلبه ، يا سيدى ، اللورد أكثر
مما تعرفه عن قلبي .
أي ، لورد هيستنجز ، إنكما صديقان حميمان .

هيستنجز : إننى أشكر عظمته لما يولينى من ود .
ولكنى لم أسأله عن رأيه
فى أمر التتويج ،
ولم يشأ عظمته أن يقول شيئا عنه .
على أنكم ، أيها السادة اللوردات الأجلاء ،
تستطيعون أن تحددوا اليوم ،
وسأدلى برأيي نيابة عن الدوق . وأرجو أن يوافق عليه .

(يدخل جلوستر)

ايلى : ها قد جاء الدوق بنفسه فى وقت حاجتنا إليه .

جلوستر : طاب صباحكم جميعا ، ياسادتى اللوردات الأجلاء ،
ويا أبناء العم . لقد تأخرت فى النهوض ،
ولكنى ، أرجو ، ألا يكون ذلك قد عاقكم عن
بحث أمور خطيرة
كان حضورى معكم يمكن أن ينجزها .

بكنجهام : لو لم تجئ فى اللحظة المناسبة ،
ياسيدى اللورد لأعلن وليم لورد هيستنجز عن موقفك ،
أعنى عن رأيك ، فى أمر تتويج الملك .

جلوستر : لن تجد أحدا أكثر جرأة من اللورد هيستنجز ؛
فإن عظمته يعرفنى خير المعرفة ويحبنى أصدق الحب .

هيستنجز : شكرا لعظمتك .

جلوستر : أى لورد إيلى .

إيلى : سيدى ؟

جلوستر : لقد رأيت فى حديقتك حين كنت فى «هولبورن» آخر مرة
ثماراً طيبة من « الفراولة » .
فهلا أرسلت فى طلب شىء منها .

إيلى : تا لله لأفعلن يا سيدى بكل سرور .
(يخرج)

جلوستر : بكنجهام يا ابن العم ، إن لى كلمة معك .
(تنتحى به جانباً)
لقد استطلع كاتبى رأى هيستنجز فيما اعتزمنا من أمر ،
فوجد السيد العنيد عنيفا كل العنف

---

(١) هولبورن : Holborn

حتى أنه ليؤثر أن يفقد عنقه
قبل أن يوافق على أن يفقد عرش إنجلترة
ولد سيده — كما يأبى له إخلاصه إلا أن يسميه .

بكنجهام : انصرف سيادتك برهة وسأصحبك .

(يخرجان)

درى : لم نحدد بعد ذلك اليوم المظفر ،
وفى رأيى ، أن الغد جد قريب ،
ولست على استعداد له ؛
كما يمكن أن أكون لو كان أبعد من هذا .

(يعود أسقف أيلى)

أيلى : أين سيدى اللورد دوق جلوستر ؟
لقد أرسلت فى طلب « الفراولة » .

هيستنجز : إن عظمته يبدو اليوم مبتهجاً راضيا ؛
ولا شك أن تحيته إيانا بمثل ذلك المرح دليل
على أن هناك أمرا أو آخر سره سروراً كبيرا .
فما أظن أحداً على وجه الأرض يضارعه
فى عجزه عن إخفاء حبه أو بغضه ؛
حتى ليستطيع المرء بنظرة واحدة إلى وجهه أن
يعرف مكنون قلبه .

دربى : وماذا عرفت اليوم من مكنون قلبه
بما بدا على وجهه من سرور ؟

هيستنجز : الحق أنه غير ساخط على أحد هنا .
فلو كان به سخط لبان ذلك فى وجهه .

دربى : أسأل الله ألا يكون به سخط على أحد .

(يعود جلوستر وبكنجهام وقد علت وجهه كآبة عجيبة وراح يقطب جبينه ويعض شفته) .

جلوستر : ناشدتكم جميعا أن تخبرونى ،
ما جزاء من يأتمرون على موتى ،
بأساليب شيطانية من السحر اللعين ؟
ومن نالوا من جسدى بطلاسمهم الجهنمية ؟

هيستنجز : إن ما أحمله لعظمتك من حب حان ، ياسيدى اللورد ،
يحدونى أن أبادر ، أمام هؤلاء النبلاء ،
فأدين أولئك المجرمين مهما تكن أشخاصهم :
وأعلن يا سيدى اللورد أنهم يستحقون الموت .

جلوستر : إذن فلتشهد عيناك على ما أصابنى من شرهم !
انظر كيف حاق بى السحر !
تأمل ذراعى وقد ذوت
كغصن جاف عصف به الريح .

ذلك ما صنعته بسحرها زوج إدورد ؛
تلك الساحرة الرهيبة ، هى وتلك البغى شور ،
هيستنجز : إن كانتا قد فعلتا ذلك، يا سيدى اللورد النبيل ،
جلوستر : إن ؟ يا حامى تلك العاهر اللعينة ،
أتقول لى « إن » ؟ أنت خائن !
اضربوا عنقه . وحق القديس بولس
لن أتناول غدائى حتى أرى رأسه !
عليكما بتنفيذ ذلك الأمر يا « لوفل » ويا « راتكليف » .
ولينهض الباقون ، الذين يحبوننى ؛ وليتبعونى .

(يخرج الجميع ما عدا هيستنجز وراتكليف ولوفل)

هيستنجز : وا أسفاه — وا أسفاه على إنجلترة ! ولا ذرة من أسف على أنا !
فقد كنت أستطيع أن أتجنب هذا ، لو لم أكن على هذا النحو من الحمق .
لقد رأى استانلى فى المنام أن الخنزير البرى قد أصاب خوذته ؛
ولكنى سخرت من حلمه وأنفت من الفرار .
لقد عثر جوادى المجلل إلى قوائمه ثلاث مرات حين رأى البرج اليوم ،

كأنما كان يأبى أن يحملنى إلى المجزرة .
أوه ، والآن أجدنى فى حاجة إلى ذلك القس ،
الذى تحدث إلى :

الآن أشعر بالندم لأنى قلت للرسول الرسمى ،
فى لهجة الظافر كل الظفر على أعدائه ،
إنهم قد ذبحوا فى بومفرت
فى حين بقيت أنا فى رضى وأمن .
أى مرجريت ، أى مارجريت ، الآن حلت لعنتك الثقيلة
على رأس هيستنجز المسكين الشقى .

راتكليف : هيا هيا — وأسرع فقد حان موعد غداء اللورد .
لا تطل اعترافك فإن الدوق يشتهى أن يرى رأسك .

هيستنجز : أيها النعيم الزائل ! يا نعيم المخلوقين الفانين
الذى نسعى وراءه أكثر مما نسعى وراء رضى الله !
إن من يبنى آماله على هواء من مظاهرك الجميل ،
يعيش كبحار مخمور على سارية سفينة ،
تستطيع أية هزة أن ترمى به
إلى أحشاء البحر القاتلة .

لوفل : هيا — هيا — أسرع . إن الشكوى لا غناء فيها

هيستنجز : إيه ، أيها السفاح رتشارد ! — أى إنجلترة التعسة !

إنى أتنبأ لكما بأشق مصير شهدته الأيام .
هيا — امضيا بى إلى النطع واحملا رأسى إليه
فإن من يضحكون لمصيرى عما قليل سيلقون حتفهم .

(يخرجون)

الفصل الثالث

المنظر الخامس

أسوار البرج

(يدخل جلوستر وبكنجهام فى دروع بالية واضطراب بالغ)

جلوستر : إيه يا ابن العم — ألا تستطيع أن ترتجف وتتصنع الشحوب ؛
وتبدو كأنما تقطعت أنفاسك خلال الحديث ؟
ثم تبدأ الحديث من جديد ، ثم تقطعه .
كأنما أصابك الرعب بمس من الجنون ؟

بكنجهام : حسبك فإنى أستطيع أن أقلد ممثل المأساة البارع
فأتحدث ، ثم أنظر إلى وراء ، وأتطلع عن يمين ، وشمال ،
ثم ارتجف ، وأفزع لسقوط قشة وأتكلف التوجس الشديد ؛
ولا تنقصنى النظرات الوالهة
كما لا تنقصنى الابتسامات المفتعلة ؛
فكلها على استعداد لمعونتى ،

في أى وقت ، لكى أنفذ ما دبرت من خطط .
ولكن ، هل ذهب كاتسبي ؟

جلوستر : نعم ، وها هو ذا قد أحضر العمدة .

(يدخل العمدة وكاتسبي)

بكنجهام : أيها العمدة .

جلوستر : انظر هناك إلى الجسر المتحرك !

بكنجهام : أسمع — دقة طبل !

جلوستر : انظر يا كاتسبي من فوق الأسوار .

بكنجهام : أيها العمدة لقد دعوناك لكى . .

جلوستر : انظر وراءك — احم نفسك فقد أقبل بعض الأعداء !

بكنجهام : فليحمنا الله ويحرسنا — ولتحمنا وتحرسنا براءتنا !

جلوستر : مهلا ، فإنهما صديقان . راتكليف ولوفل

(يدخل لوفل وراتكليف برأس هيستنجز)

لوفل : ها هو ذا رأس ذلك الخائن الخبيث ، هيستنجز ،
ذلك العدو الخطير الذى لم يكن يشك فيه أحد .

جلوستر : أحس بحاجة إلى البكاء فقد كنت أحبه أعظم الحب .
لقد حسبته أصرح إنسان يعيش على هذه الأرض ؛
وأبعد المسيحيين طرا عن التفكير فى أى شر .
فاتخذت منه كتابا

تسجل فيه روحي كل ما خفى من خلجاتها .
كم كان بارعا فى إخفاء رذائله ،
بما يبدو عليه من مظاهر الفضيلة .
حتى لقد عاش بعيداً عن كل ريبة ؛
إن نحن أغفلنا ذنبه الظاهر المعروف
أعنى صلته بزوج شور .

بكنجهام : أجل — لقد كان أقدر الخائنين
على إخفاء خيانته وسترها .
هل يمكن أن يدور بخلدك ، أو تعتقد ،
أنه لولا عناية الله العظيمة ،
ما عشنا لنخبرك أن هذا الخائن الداهية ،
كان قد أعد خطة لاغتيالنا اليوم، فى مقر المجلس .
أنا وسيدى الكريم لورد جلوستر ؟

العمدة : ماذا ! أو قد فعل هذا ؟

جلوستر : عجبا ! أتحسبنا أتراكا أو كفارا ،
أم تحسب أننا كنا نبادر
إلى قتل ذلك الغادر ، فى مثل تلك العجلة ،
دون أن نلجأ إلى القانون ،

لو لم تضطرنا إلى ذلك شدة خطورة الأمر ،
والمحافظة على سلامة إنجلترة ، وسلامتنا نحن ؟

العمدة : كتب الله لكما الخير ! لقد استحق الموت .
وقد أحسنتما صنعا ، يا سيدى الكريمين ،
إذ جعلتماه نكالا للخائنين الخادعين .

بكنجهام : على أنى لم أتوقع منه خيرا قط ،
منذ بدأ علاقته بالخليلة شور .
ومع ذلك ، فقد كان فى نيتنا ألا نقتله ،
حتى تشهد عظمتك مصرعه .
لولا أن حال دون ذلك إخلاص هذين السيدين
من أصدقائنا ، فدفعهما إلى تلك العجلة ،
وهو ما لا يلائم قصدنا كل الملاءمة .
لقد كنا نحب أن نسمع عظمتك ،
حديث الخائن ، واعترافه الوضيع ،
عن أسلوبه فى تنفيذ خيانته ، وغايته منها ،
لكى تنقل ذلك إلى أهل المدينة ؛
حتى لا يسيئوا تأويل سلوكنا نحوه ، ويحزنوا لموته .

العمدة : ولكن قولك ، يا سيدى اللورد الكريم ،

يغني عن رؤيتي إياه ، وسماعي اعترافه .
وسأعمل ، يا سيديّ النبيلين على أن أنقل
إلى أهل المدينة المخلصين ،
عدالة مسلككما في هذا الأمر .

جلوستر : ولهذا الغرض كنا نود أن تكون عظمتك حاضرا ،
حتّى نتجنب نقد الناس وملامتهم .

بكنجهام : أما وقد جئت بعد فوات الوقت
فاشهد على ما كنا قد انتويناه .
وإلى اللقاء يا سيدي اللورد الكريم .
(يخرج العمدة)

جلوستر : اذهب — اتبعه يا بكنجهام يا ابن العم —
اتبعه فإنه سيمضي سريعا إلى ندوة المدينة :
وهناك فلتنتهز الفرصة ، بقدر ما تستطيع ،
لكي تقدح في نسبة أبناء إدورد إلى أبيهم .
أخبر الناس كيف أعدم إدورد رجلا من أهل المدينة ،
لا لشيء إلا لأنه قال إنه سيجعل ابنه وريثا للتاج ،
يريد بذلك بيته المعروف بهذا الاسم
إذ كان التاج [1] هو العلامة المميزة له .

---

(١) كانت البيوت في تلك الأيام تحمل علامات مميزة بدل الأرقام .

ثم تحدث عن ترفه الذميم ،
وخضوعه البهيمى لشهواته المتقلبة ،
تلك التى امتدت إلى خادماتهم وبناتهم وزوجاتهم .
ذكرهم كيف كانت عينه النهمة ، وقلبه الضارى ،
يبحثان دائما بلا وازع عن فريسة جديدة .
فإن اقتضى الأمر فأخبرهم ، لكى تخلص إلى ذكرى ،
أن أبى ، الأمير يورك ، كان يحارب فى فرنسا ،
حين وضعت أمى ذلك المنهوم إدورد .
وحين حسب أبى أيام الحمل حسابا دقيقا ،
تبين له أن الوليد ليس ابنه .
وقد صدقت ملامح الوليد شكه ،
إذ لم تكن ملامحه تشبه ملامح والدى النبيل فى شىء .
على أنه ينبغى أن تمس هذا الأمر مسا رفيقا ؛
كأنما جاء إلى خاطرك عرضا .
فإنك تعلم ، يا سيدى اللورد ، أن أمى لا تزال
على قيد الحياة .

بكنجهام : لا تخش شيئا ، يا سيدى اللورد ، فسأقوم
بدور الخطيب فى براعة .

كما لو كنت سأنال لنفسى
تلك المكافأة الذهبية التى أطلبها لك .
فإلى اللقاء يا سيدى اللورد .

جلوستر : إذا وفقت إلى غايتك فأحضرهم إلى قلعة «باينارد[1]»
حيث تجدنى ، فى صحبة القسيسين الأجلاء ،
والأساقفة الراسخين فى العلم .

بكنجهام : سأذهب الآن . انتظر ما أحمله من أنباء ندوة المدينة ،
حول الساعة الثالثة أو الرابعة .
(يخرج)

جلوستر : اذهب يا لوفل بأقصى سرعة إلى الدكتور شو[2]
(إلى كاتسبى)
واذهب أنت إلى الأب « بنكر[2] »
واسألهما أن يلقيانى فى تلك الساعة فى قلعة « باينارد » .

---

(١) قلعة باينارد Baynard Castle

(٢) من رجال الدين وهما اللذان سيخرج جلوستر بصحبتهما للقاء العمدة فى الفصل التالى .

(يخرج الجميع ما عدا جلوستر)

فلأدخل الآن لأدبر أمراً خاصا ، فأبعد ولد
كلارنس وابنته عن هذا المكان .
وآمر ألا يتصل أحد ، مهما يكن شأنه ،
بالأميرين .

(يخرج)

الفصل الثالث

المنظر السادس

المنظر نفسه — شارع

(يدخل مسجل بورقة فى يده)

المسجل : هذه هى وثيقة اتّهام اللورد هيستنجز الرجل الطيب كتبتّها بخط واضح أنيق
لكى تُقرأ اليوم فى كنيسة القديس بولس .
ما أروعها من قصة محبوكة !
لقد أنفقت فى نسخها إحدى عشرة ساعة ،
إذ جاء بها إلىّ كاتسبى ليلة أمس ؛
واستغرقت صياغة مسودتّها مثل هذا الوقت .
ومع ذلك فقد كان اللورد هيستنجز لا يزال
منذ خمس ساعات على قيد الحياة :
حرًّا عزيزاً لا يتّهمه أحد . يا لها من حياة طيبة !
مَنْ ذلك الغبى الذى لا يرى تلك الخدعة البينة ؟
ولكن ، من ذلك الجرىء الذى يستطيع أن يقول إنه يراها ؟
يا للحياة المليئة بالشر ! ويا للضياع حين يغمض الناس أبصارهم عن ذلك السلوك المعيب !

الفصل الثالث

المنظر السابع

قلعة باينارد

(يدخل جلوستر وبكنجهام من بابين مختلفين)

جلوستر : والآن يا سيدى ، ماذا قال أهل المدينة ،
وقدسية أم سيدنا المسيح ؟

بكنجهام : لقد لزموا الصمت . ولم ينطقوا بكلمة واحدة .

جلوستر : هل أشرت إلى الشك فى نسب أبناء إدورد ؟

بكنجهام : أجل — وأشرت إلى عقد زواجه السابق على السيدة لوسى (١)
وإلى عقد زواجه وهو بفرنسا بالتفويض ،
وإلى شهواته النهمة التى لا تشبع ،
واغتصابه نساء المدينة ؛
وإلى ما كان يأخذ الناس به من ظلم ، من أجل أشياء صغيرة تافهة ،
وإلى نسبه هو الزائف ، إذ كان قد ولد وأبوك فى فرنسا ؛
وأشرت إلى أن ملامحه لا تشبه ملامح أبيك الدوق :

---

(١) لوسى Lucy

ثم ذكرت أن قسماتك أنت ،
تشبه قسمات أبيك كل الشبه ؛
وأنك مثله فى مظهرك ومخبرك النبيل .
وأشدت بجميع انتصاراتك فى اسكتلاندا
وحزمك فى الحرب ، وحكمتك فى السلم ،
وكرمك وما تتحلى به من فضيلة ، وتواضعك الجميل .
والحق أنى لم أترك شيئا يخدم غايتك
إلا ذكرته أو أشرت إليه .
وحين فرغت من خطبتى ؛
طلبت إلى كل من يخلص لوطنه الحب ،
أن يهتف : عاش رتشارد ملك إنجلترة

جلوستر : وهل هتفوا ؟

بكنجهام : لا والله ! ما نطقوا بكلمة واحدة !
بل ، نظر بعضهم إلى بعض ، فى صمت ، وقد عراهم
شحوب بالغ .
كأنهم تماثيل خرساء ، أو صخور تتنفس ؛
فلما رأيت ذلك منهم ، وجهت إليهم اللوم ؛
وسألت العمدة عن سر ذلك الصمت العنيد ؛
فأجابنى بأنهم لم يتعودوا أن يتحدث إليهم أحد

في تلك الأمور ، غير مسجل الندوة .
فطلبت إليه أن يعيد عليهم قولى ، ففعل ،
فكان يردد القول«هكذاتحدث الدوق وهكذا قال »
ولم يزد شيئا واحدا من عنده تصديقاً لذلك .
ولما فرغ من خطابه قذف بعض أتباعى
فى آخر القاعة بقبعاتهم فى الهواء ،
وصاح ما يقرب من عشرة رجال . حفظ الله
الملك رتشارد !
فانتهزت هتاف هذه الفئة القليلة ،
وقلت : « شكرا لكم ، أيها المواطنون والأصدقاء
الأعزاء ،
« إن هذا الاستحسان العام ، وتلك الهتافات
المستبشرة التى انبعثت منكم جميعا
لبرهان على حصافتكم وحبكم لرتشارد . »
وعند ذلك غادرت الاجتماع وجئت إلى هنا .

جلوستر : يا لهم من أحجار خُرّس ! أهكذا أبوا أن ينطقوا ؟
بكنجهام : أجل ، وأيم الحق ، يا سيدى اللورد .
جلوستر : ألن يحضر العمدة ورفاقه إذن ؟
بكنجهام : إنه هنا قريب — والآن يا سيدىِ اللورد الكريم

فلتتظاهر بشيء من الخوف ،
وبأنك غير راغب فى الحديث إلا برجاء وإلحاح.
ولتحمل فى يدك كتابا من كتب الصلوات ،
ولتقف بين رجلين من رجال الدين ،
فسأصنع من تلك النغمة لحنا رائعا مقدسا .
ولا تجب سؤلنا فى يسر ؛ بل كن كالعذراء لا تجيب
إلا بـ « لا » ، وهكذا يتم لك الأمر .

جلوستر : سأذهب — وإذا استطعت أن تلح فى سؤلى بالنيابة عنهم
كما سألح فى الرفض ،
فلا شك أننا سننجح فى تدبيرنا .

بكنجهام : هيا — اذهب إلى الفناء فإن العمدة يدق الباب

(يدخل العمدة وبعض المواطنين الفناء)

مرحبا يا سيدى اللورد — إنى ما زلت فى الانتظار هنا .
يظهر أن الدوق لا يحب أن يتحدث إليه أحد
فى ذلك الأمر .

(يدخل كاتسبى)

كاتسبي ، ما رأى مولاك اللورد فيما سألت ؟

كاتسبى : إنه يرجو عظمتك ، يا سيدى اللورد الكريم ،

أن تزوره غدا أو بعد غد .
فإنه فى الداخل بصحبة اثنين من آباء الكنيسة الأجلاء ؛
يقضون الوقت فى الصلاة والتأمل .
ولا يستطيع أن ينصرف عن ذلك العمل المقدس ،
إلى التفكير فى أمور الحياة الدنيا .

بكنجهام : عُد ، أيها السيد الطيب كاتسبى ، إلى الدوق الجليل ،
قل له إننا ، أنا والعمدة ، وبعض أعوانه ،
قد جئنا لنتحدث إلى عظمته
فى أمور خطيرة الشأن ،
تتصل بصالحنا جميعا .

كاتسبى : سأنقل إليه من فورى جميع قولك يا سيدى
(يخرج)

بكنجهام : آه–ها! إن هذا الأمر يا سيدى اللورد شيء غير إدورد.
إنه لا يقضى نهاره متقلبا فى فراش الدنس ،
بل يقضيه راكعا يصلى ؛
ولا ينفق وقته عابثا مع بغيين ،
بل ينفقه متأملا مع قسين ورعين ،
ولا ينام ليزداد جسده المسترخى لحما وشحما ،
ولكن يصلى لتزداد نفسه العاكفة ورعا وتقوى .

يا لحظ إنجلترة السعيد ، لو قبل هذا الأمير التقى ،
أن يكون ملكا عليها !
ولكنى أخشى ألا نستطيع حقا إقناعه بالقبول .

العمدة : لا قدر الله أن يرفض !

بكنجهام : أخشى أن يفعل . ها هو ذا كاتسبى قد أقبل ثانية .

(يعود كاتسبى)

ما قول عظمته الآن يا كاتسبى ؟

كاتسبى : إنه يعجب لماذا جمعت هذا الحشد
من أهل المدينة ليتحدثوا إليه ،
دون أن تحيطوه علما بذلك من قبل ؟
وهو يخشى يا سيدى اللورد أنك لا تقصد خيرا .

بكنجهام : إنه ليحزننى أن يظن ابن عمى النبيل ،
أنى لا أقصد خيرا ،
فوالله ما جئت إلا بدافع من حبى البالغ له .
فعد إليه ، وبلغه ما أقول .

(يدخل كاتسبى عليه مرة أخرى)

حين يمسك الأتقياء بمسبحاتهم
يصبح صرفهم عنها أمراً عسيرا .
كم هو جميل أن يستغرق المرء فى التأملات الحارة !

(يدخل جلوستر منتصب القامة بين أسقفين ويعود كاتسبى)

العمدة : انظر كيف يسير بين اثنين من رجال الدين .

بكنجهام : إنهما ، لأمير مسيحى ، عمادان من الفضيلة
يعصمانه من السقوط فى مهاوى الغرور ،
انظر ! إن فى يده كتاب صلاة !
إنها أمور تزين حقيقة الرجل التقى .
أيها الأمير النابه الأجل من آل بلانتاجنت !
أعر سؤلنا أذنا صاغية ،
واغفر لنا إخراجنا إياك من صلاتك وعكوفك
الذى هو شيمة المسيحى التقى .

جلوستر : لا حاجة بكم إلى الاعتذار ، يا سيدى اللورد ،
بل إن على أنا أن أطلب إليكم الصفح .
إذ تأخرت فى الخروج إلى أصدقائى ،
لانصرافى إلى عبادة الله .
وبعد ، فماذا تحبون أن تقولوا لى .

بكنجهام : ما يرضى الله فى علاه ،
ويرضى الأخيار جميعا من أهل الجزيرة التى
لا حاكم الآن لها .

جلوستر : أخشى أن أكون قد اقترفت ذنبا

أسخط أهل المدينة ،
فجئتم تنعون عليّ جهالتي .

يكنجهام : لقد اقترفت ذنبا ، يا سيدى اللورد ، ونرجو أن تستجيب ، عظمتك ،
لتوسلاتنا وتكفر عنه .

جلوستر : لا كنت مسيحيا إن لم أفعل .

يكنجهام : إذن فاعلم أن ذنبك
أنك تتخلى عن المنصب السامى ؛
والعرش الجليل ، وصولجان أسلافك ،
والمكانة التى منحها إياك حظك ، وجعلها من حقك نسبك ،
ومجد آبائك ، وبيتك الملكى ؛
تتخلى عن ذلك كله ليفسد فيه بيتٌ غير صحيح النسب ؛
وتستغرق أنت فى سبات أفكارك الطيبة ،
التى جئنا نوقظك منها ، لخير هذه البلاد .
بينما تحتاج هذه الجزيرة المجيدة إلى سواعد أبنائها الصادقين ،
بعد أن شوهت وجهها جراح العار ، واختلطت
شجرة أسرتها الملكية بأشجار خسيسة ،

وكادت تهوى في هوة مخيفة من النسيان الأعمى
والخفاء الحالك .
لذلك نسألك الآن ، من قلوبنا ،
أن تتقدم — لكى تنقذها — فتحمل العبء ،
وتقوم بحكم بلادك هذه ،
لا وصيا ، ولا قيما ، ولا نائبا ،
ولا وسيطا قليل الشأن لخير إنسان آخر ،
ولكن ملكاً يحكم دولته
بحق وراثته الملك كابرا عن كابر ،
وبحق مولده وبحق دولته ، وبحقه على نفسه .
في سبيل هذه الغاية
جئت أستنهض عظمتك ،
يستحثنى إلى ذلك استحثاثا هؤلاء المواطنون ،
وأصدقاؤك هؤلاء المحبون المخلصون .

جلوستر : لست أدرى أأنصرف في سكون
أم أتكلم فأوجه إليك اللوم المرير .
أأقول ما يلائم شعورى أو ما يلائمك ؟
فربما ظننت إنْ لم أجبك أن الطموح قد عقد لسانى
وإنني بسكوتى قد سلمت .

بأن أحمل نير الملكية الذهبى ،
الذى تتوق نفسك إلى أن تضعه على عاتقى ،
وإن وجهت إليك اللوم لمطلبك هذا
الممزوج بحبك وولائك لى ،
فربما ساء ذلك أصدقائى من ناحية أخرى .
لذلك سأتكلم حتى لا تظن بى أول الأمرين ،
وسأتكلم على نحو يجنبنى ثانيهما ؛
فأقول فى صراحة
إن حبك لى يستحق شكرى .
ولكن قدرى المتواضع يأبى أن أجيبك إلى مطلبك الخطير .
فلو أن جميع العقبات قد ذللت ،
وغدا طريقى سهلا ممهدا إلى التاج ،
الذى يواتينى بفضل نضوج سنى ،
ونضوج رأيى ، وبحكم مولدى ؛
فإنه لخير لى ، أنا الضعيف الهمة العظيم النقائص ،
أن أتوارى عن الطريق الذى يؤدى إلى العظمة ،
من أن أشتهى أن أتوارى بعد أن أظفر بها وأختنق
فى غبار مجدى .
فلست إلا زورقا لا يستطيع أن يحتمل عباب

المحيط الزاخر .

على أنى أشكر الله إذ لا حاجة بكم إلى ؛
وليس لى من القدرة ما أعينكم به، إن طلبتم عونى ،
فإن الشجرة الملكية قد تركت لنا ثمرة طيبة ،
سينضجها مر الزمن السريع ،
فيصبح أهلا للعرش الجليل
ويسعدنا بحكمه دون ريب .
فعليه ألقى ذلك العبء الذى أردتم إلقاءه على .
فإنه من حقه ، وحق طالعه السعيد ،
فلا قدر الله أن أغتصبه من يديه !

بكنجهام : سيدى اللورد ، ذلك برهان على ما لعظمتك من ضمير حى .
ولكن تلك الأسباب التى أشرت إليها تافهة ،
غير جديرة بالتقدير ، إذا تدبرنا جميع الظروف.
إنك تقول إن إدورد[1] ابن أخيك .
وكذلك نقول ، ولكنه ليس من زوج إدورد[2]
فإن أخاك كان قد خطب السيدة لوسى فى مبدإ الأمر ،

---

(١) الأمير الصغير ولى العهد .

(٢) والده الملك إدوارد الرابع .

ولا تزال أمك على قيد الحياة ، تشهد على ذلك العهد .
ثم إنه خطب بعد ذلك — بالتوكيل —
« بونا »[١] أخت ملك فرنسا .
ثم تحول عنهما إلى من ليست كفؤا له ،
إلى أرملة كئيب وأم لأطفال عدة .
قد أبلتها الهموم ، أشرف جمالها على الأفول .
استطاعت وهى فى خريف شبابها ،
أن تأسر عينيه المفعمتين بالشهوة ؛
وأن تنزل بطموحه من عليائه ،
إلى درك زواج مهين غير شرعى[٢] ؛
وبهذا الزواج غير المشروع أنجبت له إدورد هذا ؛
الذى يأبى لنا حسن الخلق إلا أن نسميه أميرا .
ولولا إجلالى لبعض الأحياء[٣]
لأطلقت للسانى العنان ،
وأفضت فى الأمر على نحو أعنف .
لذلك أسألك ، يا سيدى اللورد الكريم ، أن تقبل
هذا المنصب الجليل

(١) بونا . Bona
(٢) كان الزواج من أرملة يعد غير شرعى .
(٣) يعنى أم الملك إدورد وهى كذلك أم دوق جلوستر .

الذى نعرضه عليك ،
إن لم يكن لخيرنا وخير هذه البلاد ،
فلكى ترفع نسباك النبيل من وهدة الفساد .
التى دفعه إليها هذا الزمان الذميم ؛
ليعود نسبا صحيحا صادقا .

العمدة : إقبل ، يا سيدى اللورد الكريم ، فإن أبناء وطنك يتوسلون إليك .

بكنجهام : لا ترفض ما نبذل لك من ولاء ، أيها المولى الجليل .

كاتسى : أجب سؤلهم الحق ، وأدخل السعادة إلى نفوسهم .

جلوستر : يا ويلتا ! لم تلقون هذه الهموم على عاتقى
ولست أصلح للحكم والملك ،
سألتكم ألا يسوؤكم ما أقول ،
ولكنى لا أستطيع ، ولن أستطيع ، أن أستجيب لكم .

بكنجهام : قد ترفض لأننا نعلم أنك تحب ابن أخيك الصغير أصدق الحب ،
وتأبى أن تنتزعه من العرش
ونعلم رقة قلبك ،
وما فى نفسك من رحمة حانية ،
نحو ذوى قرباك ،

بل نحو الناس جميعا على السواء ؛
ولكن سواء أجبت دعوتنا أو رفضتها ،
فإن ابن أخيك لن يكون ملكا علينا .
فسنقيم على العرش شخصا آخر ،
وسيقضى ذلك على بيتكم ، ويجلله بالعار .
وعلى هذا العزم سنخرج الآن من عندك .
هيا أيها المواطنون ، فوالله لن أتوسل أكثر مما فعلت .

جلوستر : لا تقسم يا سيدى اللورد بكنجهام .

(يخرج بكنجهام مع أهل المدينة)

كاتسبى : ناده ثانية يا سيدى الأمير الكريم ، واقبل دعوتهم .
فلتفعل يا سيدى حتى لا تحزن البلاد جميعها .

جلوستر : أتضطروننى إلى حياة مليئة بالهموم ؟
إذن ، فادعوهم ثانية ، فإنى لم أُقدّ من صخر ،
وقد نفذت توسلاتكم إلى قلبى ،
رغم ما أجده من ضميرى وروحى من سخط .

(يعود بكنجهام ومن معه)

يا ابن العم بكنجهام ، وأنتم أيها الرجال الحكماء الحازمون ،
ما دمتم تأبون إلا أن تضعوا
نير المجد الثقيل على كاهلى ، رضيت أو لم أرض ،

فسأتقدم لكي أحمله فى صبر .
وأرجو أن يبرئنى إجباركم إياى ،
من كل ما يمكن أن يدنس صفحتى أو يصمنى به الناس من تآمر ؛
إن لحقتنى الفضيحة النكراء من جراء ذلك ،
أو أطل علىّ اللوم بوجهه الشائه .
فالله يعلم — وأنتم قد ترون —
ألا رغبة لى فى ذلك المنصب .

العمدة : بارك الله فى عظمتك ! لقد رأينا وسنتحدث بما رأينا .

جلوستر : ولن يكون حديثك هذا إلا الحق .

بكنجهام : إذن فإنى أحييك بتحية الملك :
عاش رتشارد ملك إنجلترة .

الجميع : آمين .

بكنجهام : أتوافق على أن تتوج غدا ؟

جلوستر : متى تشاءون ما دمتم تريدون ذلك .

بكنجهام : إذن فسنجىء إلى عظمتك غدا .
أما الآن فإنا وقد استخفنا السرور نستأذن فى الانصراف .

جلوستر : هيا — ولنعد نحن إلى صلاتنا المقدسة .
إلى اللقاء يا ابن العم . إلى اللقاء أيها الأصدقاء
(يذهبون)

الفصل الرابع

المنظر الأول

أمام البرج

(تدخل من ناحية الملكة إلزابث ودوقة يورك والمركيز دورست . وتدخل من ناحية أخرى آن دوقة جلوستر ومعها مرجريت بلانتاجنت ابنة كلارنس الصغيرة) .

الدوقة : من نلقى هنا ؟ حفيدتى بلانتاجنت
في يد عمتها الرءوف دوقة جلوستر ؟
تالله إنها لذاهبة إلى البرج
يدفعها حب قلبها الطاهر إلى زيارة الأميرين .
مرحبا بك يا ابنتى .

آن : أسعد الله صباحكما وطاب وقتكما

الملكة إلزابث : سعد صباحك يا أختى العزيزة ! إلى أين ؟

آن : إلى البرج وأظنكم ذاهبون مثلنا
لزيارة الأميرين ،
يدفعكم الإخلاص كما يدفعنا .

الملكة إلزابث : شكرا لك يا أختى العزيزة سندخل جميعا معا .

(يقبل براكنبرى من البرج)

ها قد جاء رئيس الحرس فى وقت حاجتنا إليه .
ما أخبار الأمير وابنى الصغير يورك
إن أذنت لى أن أسألك أيها الرئيس ؟

براكنبرى : بخير يا مولاتى العزيزة . وأرجو أن تعذرينى
إن لم أستطع السماح لك بزيارتهما .
فقد أمرنى الملك أمرا قاطعا ألا أفعل .

الملكة إلزابث : الملك ! من يكون هذا ؟

ابركنبرى : معذرة لقد عنيت اللورد الوصى .

الملكة إلزابث : لا قدر الله له هذا اللقب الملكى !
أو قد أقام الحدود بين حبهما وبينى ؟
إنى أمهما . منذا الذى يستطيع أن يحول بينى وبينهما ؟

الدوقة : وأنا أم أبيهما . ولا بد أن أراهما .

آن : وأنا عمتهما بالنسب وأمهما بالحب .
فاذهب بى إليهما وسأحمل عنك اللوم
ووزر تخليك عن عملك .

براكنبرى : لا يا سيدتى لا — لن أتخلى عنه على هذا النحو ،
فقد أقسمت يمينا على الطاعة ، وأرجو المعذرة .

(يمضى إلى الداخل)

(يقف لورد ستانلى)

ستانلى : سيداتى — إنْ لقيتكن بعد ساعة واحدة ،
فسأهنئ دوقة يورك بما عاشت
لترى كنتيها كلتيهما ملكتين جميلتين ،
(إلى آن) — هيا يا سيدتى إلى وستمنستر
لتتوجى هناك ملكة مع زوجك رتشارد .

الملكة إلزابث : أواه ! فلينشق ثوبى عن صدرى
لكى يجد قلبى متنفسا لضرباته ،
وإلا فقدت وعيى لهذا النبأ القاتل .

آن : يا لها من أخبار بغيضة أليمة !

دورست : لاتستسلما لليأس . كيف تجدينك يا أماه ؟

الملكة إلزابث : دورست ، لا تخاطبنى . ابتعد عن هذا المكان
فإن الموت والدمار يتبعانك ،
واسم أمك شؤم على أبنائها .
وإن فُت الموت فأعبر البحر
وعش مع ريتشموند بعيدا عن قبضة الجحيم :
هيا ، انج بنفسك . انج من هذا المجزر
حتى لا يزيد بك عدد الموتى ،
فتظافر بى لعنة مارجريت

وأموت لا أما ولا زوجا ولا ملكة من ملكات إنجلترة .

ستانلى : تلك نصيحة سديدة يا مولاتى .

(إلى دورست) هيا لا تضع وقتا ، وسأكتب إلى ولدى [1]

ليلقاك فى طريقك ويرحب بك ،

فلا تبطئ واحذر عواقب التأخير .

الدوقة : أى ريح الشقاء المشؤومة ،

أى رحمى الرحيم يا مهد الموت ،

لقد أخرجت إلى الحياة أفعوانا ،

تقضى عيناه القاتلتان على من ينظر إليهما .

ستانلى : هيا يا سيدتى ؛ هيا

فقد أمرت أن أعود بك على عجل .

آن : سأذهب راغمة كارهة .

وددت لو جعل الله تلك الحلقة الآسرة من الذهب

تلك التى ستطوق جبينى حديدا متوهجا يشوى رأسى

حتى الصميم

وددت لو نضجت بسم قاتل بدلا من الزيت المقدس

فأموت قبل أن يقول الناس : عاشت الملكة !

---

(١) ريتشموند ولد زوجه وولده بحكم العرف الإنجليزى .

الملكة إلزابث : اذهبي ، اذهبي أيتها البائسة فما أنفس عليك مجدك ،
وليس عليك أن تتمنى لنفسك الضر مجاراة لى.
آن : ولم لا ؟ لقد كنت أسير وراء جثمان هنرى
حين جاءنى من هو الآن زوجى ،
ولما تكد الدماء تزول عن يديه ،
تلك الدماء التى فاضت من زوجى الآخر الطاهر ،
ومن ذلك القديس الغالى الذى كنت حينئذ
أسير باكية وراء جثمانه . وحين رأيت وجهه
استنزلت عليه اللعنات قائلة :
« فلتحل عليك اللعنة كما جعلتنى
أرملة فى ريعان شبابى ،
وإذا ما تزوجت فليلازم الحزن فراشك ،
ولتشق زوجك معك — إن وجدت من ترضى بك —
كما أشقيتنى بموت زوجى العزيز » .
ولكن سرعان ما أسرت كلماته المعسولة
قلب المرأة الغرّ ؛
ولما أستنزل عليه اللعنة مرة أخرى .
وهكذا حُقت على لعنتى . . .
فلم يغمض لى جفن بعد ذلك ؛

ولم تهبط على في فراشه ساعة واحدة
من ندى النوم الذهبي ،
بل ظل يؤرقني بما كان ينتابه من أحلام مفزعة .
وهو إلى ذلك يبغضني من أجل أبي وريك ،
ولا ، يب أنه سيتخلص مني سريعا .
الملكة إلزابث : وداعا أيتها المسكينة ! إنني أرثي لبلواك .
آن : إن حزني لمصيبتك لا يقل عن رثائك لي .
الملكة إلزابث : وداعا يا من تستقبل المجد بالحزن والأسى !
آن : وداعا أيتها المسكينة يا من هجرها المجد !
الدوقة : (إلى دورست) — اذهب إلى رتشموند— صحبك اليمن !
(إلى آن) — واذهبي أنت إلى رتشارد—رعتك الملائكة !
(إلى الملكة إلزابث) واذهبي أنت إلى حمى الكنيسة
أنزل الله على نفسك السكينة !
أما أنا فسأذهب إلى قبري حيث يرقد معي السلام
والطمأنينة !
لقد شهدت ثمانين عاما نكراء من الأحزان[1] ،
وقاسيت لقاء كل ساعة من الفرح سبعة أيام من الحزن .

(١) عاشت الدوقة يورك ثمانية وستين عاماً ليس غير ولكن أحزان الموقف تنسى الدقة التاريخية .

الملكة إلزابث : ابقى قليلا ، وألقى نظرة معى إلى البرج .
أيتها الأحجار العتيقة ارحمى هذين الطفلين الرقيقين
اللذين ألقى بهما الحسد والبغضاء بين أسوارك !
أيها المهد الخشن لهذين الجميلين ،
أيتها الحاضنة الغليظة .
أيها الرفيق العبوس للأميرين الغضين ، رفقا بولدى !
والآن أستودعك الله فى أسى واله أيتها الأحجار العتيقة .

(تخرجان)

الفصل الرابع

المنظر الثانى

لندن — القصر

(صوت أبواق — يدخل رتشارد فى أبهة الملك وعلى رأسه التاج ومعه بكنجهام وكاتسى و وصيف وآخرون)

الملك رتشارد : ابتعدوا جميعا — بكنجهام يا ابن العم !

بكنجهام : مليكى الجليل !

الملك رتشارد : أعطنى يدك (يصعد على العرش) بفضلك أرقى هذا المجلس السامى و بعونك

يجلس الملك رتشارد على العرش .
ولكن ترى أيعيش هذا المجد يوما واحدا ؟
أم يدوم ونسعد به ؟

بكنجهام : ليعش هذا المجد وليدم إلى الأبد !

الملك رتشارد : أى بكنجهام ، الآن امتحن معدنك لأرى إن كان حقا من الذهب .
إن إدورد الصغير ما زال على قيد الحياة .
أتستطيع أن تحدس ما أريد أن أقول ؟

بكنجهام : فلتقله يا مولاى العزيز .

الملك رتشارد : عجبا يا بكنجهام أقول إنى أريد أن أكون ملكا .

بكنجهام : ولكنك ملك يا مولاى الأجل !

الملك رتشارد : ها ! أأنا ملك ؟ أجل ، ولكن إدورد ما زال حيا .

بكنجهام : أميرا نبيلا مخلصا .

الملك رتشارد : يا له من نذير شؤم أن يظل إدورد حيا « أميرا نبيلا مخلصا »
يا ابن العم إنك لم تعودنى أن تكون هكذا بطىء الفهم ؟ أتتحدث بجلاء ؟
إنى أريد أن يموت ولدا الزنا هذان ،
وأحب أن يتم ذلك سريعا ؛ فماذا تقول الآن ؟
هيا — تكلم سريعا ولا تبطئ .

بكنجهام : تستطيع جلالتك أن تفعل ما تحب .

الملك رتشارد : صه ، صه . إنك بارد كالثلج . إن ودك قد تجمد . قل ، أتوافق على أن يموتا ؟

بكنجهام : مولاى العزيز ، أعطنى متنفسا من الوقت ،
مهلة قصيرة قبل أن أجيب إجابة حاسمة عن هذا السؤال :
وسأنبئ جلالتك سريعاً برأيى .
(يخرج)

كاتسى : (إلى أحد الحضور على انفراد) إن الملك غاضب . انظر كيف يعض شفته .

الملك رتشارد : سأشاور القساة من الحمقى
والمندفعين من الرجال ؛ (يهبط من عرشه)
فليس لى شأن بأصحاب التبصر والروية :
لقد أصبح بكنجهام البعيد الأطماع حريصا مترددا .
يا غلام

الوصيف : مولاى ؟

الملك رتشارد : أو تعرف أحداً يستطيع بريق الذهب
أن يغريه بارتكاب جريمة قتل فى الخفاء ؟

الوصيف : أعرف يا مولاى سيدا ساخطا ،
من أولئك الذين لا يتناسب فقرهم وما لديهم من طموح ،
ولا شك أن الذهب سيكون عنده أبلغ من عشرين خطيبا ،
وسيغريه بأن يفعل أى شىء

الملك رتشارد : ما اسمه ؟

الوصيف : اسمه ، يا مولاى ، تيرل .

الملك رتشارد : لقد سمعت عنه — اذهب وادعه إلى هنا يا غلام .
(يخرج الوصيف)

لن يكون بكنجهام الأريب الماكر
مشيرى بعد الآن .
أو قد طال نضاله من أجلى إلى هذا الحد
حتى يطلب الآن متنفسا . فليكن !
(يدخل ستانلى)
ما وراءك يا لورد ستانلى !

ستانلى : سمعت يا مولاى العزيز
أن المركيز دورست قد فرّ إلى ريتشموند
حيث يقيم فى الجانب الآخر من البحر .
(يقف جانباً)

الملك رتشارد : إدنُ منى يا كاتسبى ، أذعْ فى الناس
أن زوجى آن مريضة ، مشرفة على الموت .
وسآمر ألا يزورها أحد ،
ثم ابحث لى عن رجل مسكين خامل النسب ،
لأزوجه فى الحال من ابنة كلارنس ،
أما ولده فإنه أحمق لا أخشى منه شرا .
مالك تقف هكذا كالحالم ؟ هأنذا أكرر
ما قلته لك ،
أذع إن زوجى مريضة مشرفة على الموت

هيا ! فإنى مهتم بأن أحطم كل أمل
فى أن يلحق بى ضرٌ فى المستقبل. (كاتسبى يخرج مسرعاً)
ولا بد لى أن أتزوج ابنة أخى
وإلا فسيظل ملكى مستقرا على زجاج هش .
أقتل أخويها ثم أتزوجها !
يا لها من سبيل إلى الظفر محفوفة بالمخاوف !
ولكنى قد انغمست الآن فى الدماء ،
ولا بد أن تدفع الخطيئة إلى الخطيئة ،
ولا مكان لدموع الرحمة فى عينىّ .
(يعود الوصيف مع تيرل)
أو اسمك تيرل ؟

تيرل : جيمز تيرل — خادمك المطيع .

الملك رتشارد : أحقا أنت كذلك ؟

تيرل : إختبرنى يا مولاى الكريم .

الملك رتشارد : أتجرؤ أن تقتل أحد أصدقائى ؟

تيرل : إنى لأوثر فى سبيل مرضاتك أن أقتل اثنين من أعدائك .

الملك رتشارد : لقد نطقت بما فى نفسى — عدوان لدودان
يقضّان راحتى ويزعجان نومى الهادئ .
وهما اللذان أريد منك أن تقتلهما يا تيرل .

أعنى ولدى الزنا هذين اللذين يقيمان فى البرج .

تيرل : دعنى أدخل إليهما
فأجنبك سريعا مخافتهما .

الملك رتشارد : إن حديثك كالغناء العذب — اسمع ، ادن منى يا تيرل
خذ هذا الإذن منى هيا وأعرنى سمعك ،
(يهمس إليه)
هذا كل ما هناك . قل إنك ستفعل ،
أكافئك بمودتى ومالى .

تيرل : سأفعل يا مولاى فى الحال .

الملك رتشارد : أنسمع خبرا منك يا تيرل قبل أن نأوى إلى الفراش ؟

تيرل : أجل يا مولاى .

(يخرج) (يعود بكنجهام)

بكنجهام : مولاى — لقد فكرت فيما عرضته على أخيرا .

الملك رتشارد : دعك منه — لقد فر دورست إلى ريتشموند .

بكنجهام : لقد سمعت بالنبأ يا مولاى .

الملك رتشارد : إنه ريتشموند ابن زوجك يا ستانلى فتدبر الأمر .

بكنجهام : مولاى — إنى أطلب مكافأتى :
التى أقسمت بالله وبشرفك أن تكون لى :
ولاية هيرفورد ومتاع الملك

الذى وعدتنى به .
الملك رتشارد : راقب زوجك يا ستانلى
فستكون مسئولا إن هى كتبت إلى ريتشموند .
بكنجهام : ماذا تقول جلالتك فى مطلبى العادل ؟
الملك رتشارد : إنى أذكر أن هنرى السادس
قد تنبأ لريتشموند ،
وهو بعد طفل ساذج ، أنه سيصير ملكا
ملكا ! ربما . . ربما
بكنجهام : مولاى !
الملك رتشارد : كيف لم يستطع ذلك المتنبئ أن يتنبأ لى
وقد كنت حاضرا ؟ إنى سأقتله .
بكنجهام : مولاى ، وعدك بلقب الولاية . .
الملك رتشارد : ريتشموند ! حين كنت آخر مرة فى إكستر
أراد العمدة أن يحتفى بى فأرانى القصر وقال إن
اسمه « روجموند »
وقد فزعت حين سمعت هذا الاسم
إذ كان عراف أيرلندى قد أنبأنى ذات مرة ؛
أنى لن أعيش طويلا بعد أن أرى ريتشموند .
بكنجهام : مولاى

الملك رتشارد : نعم — كم الساعة ؟
بكنجهام : إنى أجرؤ فأذكّر جلالتك
بوعدك الذى وعدتنى .
الملك رتشارد : نعم ، لكن كم الساعة ؟
بكنجهام : توشك أن تدق العاشرة .
الملك رتشارد : دعها تدق .
بكنجهام : لم تقول هذا ؟
الملك رتشارد : لأنك ، كشخوص الساعة ، تدأب على التأرجح
بين توسلك وما أنا مستغرق فيه من التفكير .
وليس لى اليوم رغبة فى العطاء .
بكنجهام : فهلا تفضلت فأرحت بالى وأجبتنى إلى طلبى .
الملك رتشارد : إنك تضايقنى . ليس لى اليوم رغبة .
(يخرج الجميع ما عدا بكنجهام)
بكنجهام : أهكذا يجزينى عن خدماتى المخلصة بمثل هذا الازدراء؟
ألهذا جعلته ملكا ؟
فليكن لى عبرة فى مصرع هيستنجز ولأرحل إلى
« بركنكوك »[1]
قبل أن يهوى رأسى الملىء بالمخاوف .
(يخرج)

(١) بركنوك Brecknock

الفصل الرابع

المنظر الثالث

المنظر نفسه

(يدخل تيرل)

تيرل : لقد تمت الفعلة الأثيمة ،
أبشع ما اقترفته هذه اليد
من مذابح مفجعة ،
لقد بكى ديتون وفورست .
اللذان عهدت إليهما اقتراف تلك المجزرة الفظيعة ؛
بكيا كالأطفال ، وذابا من الرحمة والعطف ،
وهما يقصان عليّ ما فعلا .
رغم أنهما وغدان ضاريان ككلاب الصيد .
« وقال ديتون : انظر ! هكذا كان ينام هذان الطفلان الوديعان »
«وقال فورست : هكذا ، هكذا . متعانقين .
بأذرعهما المرمرية البريئة :
وكانت شفاههما ، كوردات أربع على أعوادها ،
تقبل كل أختها ، وقد خلع الصيف عليها جماله .

وكان على وسادتهما كتاب صلاة ،
وقد أوشكت أن أتحول عن عزمى ،
حين رأيت أحدهما . ولكن يا للشيطان . . »
وهنا توقف الشرير
على حين واصل ديتون الحديث قائلا :
« وهصرنا غصن أكمل ما أبدعته الطبيعة منذ
أقدم العصور »
وامتلأت نفساهما بالحسرة والندم ،
فلم يستطيعا أن يفيضا فى الحديث .
وهكذا تركتهما لأحمل النبأ إلى الملك السفاح .
وها هو ذا قد أقبل .

(يدخل الملك رتشارد)

سلاماً أيها الملك

الملك رتشارد : عزيزى تيرل ! ألديك من الأنباء ما يسعدنى ؟
تيرل : إن كان يسعدك اقتراف ما أمرتنى به ،
فأنت تستطيع أن تسعد ؛ إذ قد تم ما أردت
يا مولاى .
الملك رتشارد : ولكن هل تحققت بنفسك من موتهما ؟
تيرل : أجل يا مولاى

الملك رتشارد : ودفنا يا عزيزى تيرل ؟

تيرل : لقد دفنهما قسيس البرج ،
ولكنى لا أعلم عن يقين كيف ولا أين .

الملك رتشارد : تعال إلىّ يا تيرل ، بعد العشاء .
فقص على كيف قتلا ،
ولا يخامرك شك فى أنى سأجزيك ، وأحقق لك أمانيك .
فإلى اللقاء بعد حين .

تيرل : إنى لأرجو خاشعاً أن تأذن لى بالخروج ·
(يخرج)

الملك رتشارد : لقد حبست ولد كلارنس بمعزل عن الناس ،
وزوجت ابنته ، فى غير ما تورع ، لغير كفؤ ،
بينما ينام ولدا إدورد فى أحضان الموت ·
وقد ودعت زوجى آن هذه الحياة الدنيا .
والآن فلأذهب إلى ابنة أخى إلزابث الصغيرة
خطيبا موفقا سعيدا .
فإنى أعلم أن ريتشموند — فى مقامه ببريتانى —
يفكر فى زواجها ليستطيع بهذا الصهر
أن يتطلع فى اعتزاز إلى التاج .
(يدخل كاتسبى)

كاتسبي : مولاى

الملك رتشارد : بأخبار طيبة، جئت هكذا فجأة، أم بأخبار سيئة ؟

كاتسبي : سيئة يا مولاى . فقد فرّ «إيلى» إلى ريتشموند،
وعبأ بكنجهام قواته ، يعينه رجال ويلز الأشداء ؛
ولا تزال قوته فى ازدياد .

الملك رتشارد : إنّ إيلى وريتشموند يثيران قلقى ،
أكثر مما يثيره بكنجهام وجيشه ، هذا الذى
أعدّه على عجل .
هيا — فإن التدبر الملىء بالجبن ،
خادم أمين للتسويف الأحمق ،
والتسويف يقود إلى العجز الذى يمضى فى بطء
كالسلحفاة .
فلتكن السرعة الخاطفة جناحى ؛
سرعة رسول « جوپيتر » لتعلن مقدم الملك !
إن درعى هو مشيرى — فهيا اجمع لنا رجالا ،
فما ينبغى أن نضيع وقتا، والخونة فى ساحة المعركة .
[يخرجان]

الفصل الرابع

المنظر الرابع

أمام القصر

(تدخل الملكة مرجريت)

الملكة مرجريت : الآن أوشكت السعادة أن تبلغ أقصاها ،
وتسقط فى فم الموت العفن .
لقد تربصت فى معتزلى هذا
لأرقب أفول نجم أعدائى .
وهأنذى أشهد البداية المريرة .
وسأرحل إلى فرنسا راجية أن تكون الخاتمة مثلها ،
مرة ، سوداء ، قاصمة
فلترحل الآن مرجريت الشقية . من القادم ؟
(تدخل الملكة إلزابث ودوقة يورك)

الملكة إلزابث : واحسرتاه على أميرى الصغير ! واحسرتاه على طفلى الرقيقين !
يا زهرتى اللتين لم تمهلا حتى تتفتحا ، أى برعمى الغضين !

إن كان روحا كما الوديعان لا يزالان يطيران فى الهواء ،
قبل أن يدخلا إلى عالم الموتى الأبدى ،
فأخفقا بأجنحتكما اللطيفة من حولى ،
واسمعا نواح أمكما .

الملكة مرجريت : أخفقا حولها ، وقولا لها إن القصاص العادل
قد أحال صباحكما الوليد إلى ليل طويل .

الدوقة : لقد سلبتنى المصائب الكثيرة صوتى
حتى خرس لسانى الذى أثقله الحزن ،
أى إدورد بلانتاجنت ، لماذا مت ؟

الملكة مرجريت : بلانتاجنت باء بدم بلانتاجنت !
ومات إدورد قصاصا لموت إدورد .

الملكة إلزابث : رباه ، كيف تخليت عن ذينك الحملين الوديعين
ورميت بهما فى أحشاء الذئب ؟
متى نمت ، يارب من قبل لتنام حين اقترف ذلك الإثم ؟

الملكة مرجريت : حين قُتل هارى الطاهر ، وولدى العزيز .

الدوقة : أيتها العينان الكفيفتان ، أيتها الحياة الميتة .
يا شبحا لا يزال يعيش بين الأحياء ،
يا صورة البؤس ويا خزى الحياة ، ويا من

يغتصب بقاؤك على قيد الحياة من القبر بعض حقه ،
ياسجلا دونت فيه أيام الشقاء في اختصار وغموض ،
أريحى نفسك المجهدة على أرض إنجلترة ، التى
كانت ذات قانون ،
فأصبحت — رغم القانون — مخمورة بدماء الأبرياء
(تجلس)

الملكة إلزابث : آه أيتها الأرض ! لو أنك تقبلين على تهيئة القبور للناس ،
إقبالك على تهيئة مجالس الأحزان ،
إذن لقبرت فيك عظامى ، بدلا من أن أريحها
بجلستى هذه ،
آه ، أين من هو أجدر بالحزن منى !
(تجلس)

الملكة مرجريت : إن كان لحزن أن يستمد من قدمه جلالا يفوق
به سائر الأحزان .
فدعى حزنى يأخذ المركز الأول ؛
لتكن لشكاتى المكانة العليا ؛
وإن كان لحزن أن يجد رفقة فى أحزان الآخرين ،
(تجلس معهما)

فانظرا إلى شقائى تجدا فيه شفاءكما .
لقد كان لى إدورد[١] حتى قتله رتشارد
وكان لك هارى[٢] حتى قتله رتشارد
وكان لك إدورد[٣] حتى قتله رتشارد
وكان لك رتشارد[٤] حتى قتله رتشارد

الدوقة : لقد كان لى أنا كذلك رتشارد فقتلته أنت ؛
ولا يزال لى « روتلاند »[٥] وتأملين أن تقتليه .

الملكة مرجريت : لقد كان لك كذلك كلارنس وقتله رتشارد
لقد حبا ، من حظيرة رحمك ،
كلب من كلاب الجحيم ، يطاردنا جميعا حتى الموت .
كلب نمت أنيابه قبل أن تتفتح عيناه ،
ليمزق الحملان . ويلعق دماءها البريئة ؛
ويشوه ما صنع الله ويدنسه .

---

(١) ابن هنرى السادس .
(٢) هنرى السادس من زوجها .
(٣) إدورد الخامس .
(٤) دوق يورك الصغير .
(٥) روتلاند . Rutland

جبار فى الأرض تذل له العيون ،
التى قرحها البكاء ، مما يجد أصحابها من أسى .
لقد أطلقته رحمك ليطاردنا إلى قبورنا .
أيها الإله البرّ ، العادل ، المنتقم ،
كيف أشكرك إذ هيأت الكلب الظامئ إلى الدماء ،
لينقض على ما أخرجته رحم أمه من نسل ،
فتشارك الآخرين أناتهم !

الدوقة : أى زوج هارى ، لا تفرحى لبلواى ،
فالله يشهد لقد بكيت لبلواك .

الملكة مرجريت : لا تضيقى بى فإنى ظمأى إلى الثأر ،
وأنا الآن أتخم نفسى برؤيته .
لقد مات ولدك إدورد الذى طعن إدورد ولدى .
ومات إدورك الآخر ، ليكفر عن موت ولدى إدورد .
ولم يكن يورك الصغير إلا مجرد تكملة للثأر ،
فما كان كلاهما كفؤا لولدى الكامل .
ومات كلارنس الذى طعن ولدى إدورد .
أما هيستنجز الفاسق وريفرز وفوجان وجراى ،
أولئك الخونة الذين شهدوا تلك المأساة

فقد ألقى بهم فى ظلمات القبر قبل الأوان .
ومازال رتشارد على قيد الحياة ، رسولا للجحيم الأسود ،
أبقى عليه ليقبض له الأرواحَ ويرسلها إلى هناك .
ولكن ما يستحق من نهاية أليمة موجعة ، جد قريب .
إن الأرض لتنشق ، والجحيم يتلظى ، والشياطين تزأر
والقديسين يصلون ، ليعجل الله بالقضاء عليه .
يا رب يا كريم ، إنى أبتهل إليك أن امح حياته
من كتابك حتى أعيش لأقول « لقد مات الكلب » !

الملكة الزابث : أواه ! لقد تنبأت لى بأن سيجىء وقت
أسألك فيه أن تعينينى
على لعنة تلك العنكبوت المتورمة ،
وتلك الضفدع السامة الحدباء .

الملكة مرجريت : لقد قلت عنك حينئذ إنك مظهر فارغ من عزى ،
ودعوتك ظلا شاحبا ومجرد صورة للملكة ،
وخيالاً لما كنته أنا ، فى الحقيقة .
وصفحة براقة لمجد زائف .
وامرأة قذف بها إلى القمة لتسقط إلى الأعماق .
وأماً سخر منها القدر فرزقها مجرد وليدين ،
وحلما من ماضيك ،

وهواء ، وفقاعة ، لها من المجد مجرد الرمز ،
وراية مزوقة يسدد كل الرامين سهامهم إليها ،
وملكة فى مهزلة يتلهى بها الناس على المسرح .
أين زوجك الآن ؟ أين إخوتك ؟
وأين ولداك ؟ أين سعادتك ؟
أين الذين كانوا يتوددون إليك ويهتفون لك
« عاشت الملكة » ؟
وأين النبلاء الخاضعون الذين كانوا يتملقونك ؟
وأين الجنود التى كانت تتبع ركبك ؟
تذكرى كل ذلك ، وانظرى ما أنت عليه الآن .
لقد استحلت من زوج سعيدة إلى أرملة بائسة كل
البؤس ، ومن أم مرحة إلى امرأة يبكيها تذكر تلك الكلمة ،
ومن ملكة إلى أمة تاجها الشقاء .
وبعد أن كان الناس يتوسلون إليك ، أصبحت
تتوسلين فى ذل إلى الناس .
وبعد أن كنت تسخرين منى ، تسمعين الآن
سخريتى منك .
لقد أصبحت الآن تخشين بعض الناس بعد
أن كان الناس جميعاً يخشونك ،

ولم تعد لك طاعة على أحد بعد أن كان الجميع طوع أمرك .
هكذا دارت عجلة العدالة ،
وتركتك مجرد فريسة مسكينة للزمن ،
لا تملكين إلا ذكرى ماضيك ،
تزيد من عذابك كلما قارنتها بحاضرك .
لقد اغتصبت مكانى ، والآن ألست تريدين
أن تغتصبى من حزنى ما هو أجل من منزلة كبيرة ؟
الآن يحمل جيدك الصلف نصف نيرى الثقيل ،
وهأنذى أزيح نصفه الآخر عن جيدى الضعيف
لأتركَ لك العبء كله .
وداعا يا زوج يورك ، يا ملكة المصائب الأليمة .
لسوف أبسم لهذه الكوارث الإنجليزية فى مقامى بفرنسا .

الملكة إلزابث : كم أنت بارعة فى استنزال اللعنات .
فابقى قليلا لتعلمينى كيف أستنزلها على أعدائى .

الملكة مرجريت : اسهرى الليل وصومى النهار ،
وقارنى بين السعادة التى ماتت ، والشقاء الذى
ما زال يحيا ،
وتخيلى ولديك أجمل مما كانا ،
وأن قاتلهما أشنع مما هو فى الحقيقة ،

فإنك حين تعظمين من شأن مصيبتك تزيدين
لعناتك سوءا .
وسيعلمك التفكير فى ذلك كيف تستنزلين اللعنات .
الملكة إلزابث : إن كلماتى كلياة فزيديها مضاءً وحدةً بكلماتك .
الملكة مرجريت : سيجعلها شقاؤك حادة ماضية مثل كلماتى .
(تخرج)
الدوقة : لماذا نتشدق بالألفاظ عند حلول المصيبة ؟
الدوقة : إنها هواء ينفس عن أحزان أصحابها ،
ووريثة الأفراح التى انقضت بلا إرث ،
وأنفاس تفصح عما فى نفوسنا من شقاء !
فأفسحى المجال لها ، فلئن كان ما تقدمه لا غناء فيه ،
فإن فيها مع ذلك راحة للقلب .
الدوقة : إن كان الأمر على ما تذكرين فلا تحبسى
لسانك إذن ،
ولتنطلق أنفاسنا معا بالألفاظ المريرة
لتخنق ولدى الرحيم كما خنق ولديك الجميلين .
إنى أسمع دقات طبوله ، فأفيضى فى الحديث عن أساك .
(يدخل الملك رتشارد يسير على قرع الطبول وصوت الأبواق)

الملك رتشارد : من يقطع علينا طريقنا ؟

الدوقة : إنها تلك التى كان ينبغى لها أن تقطع عليك الطريق ،
بأن تخنقك فى رحمها الرجيم ،
فلا تقترف ما اقترفت من مذابح وتجلب ما جلبت
من مآس .

الملكة مرجريت : أتغطى هذا الجبين بتاج ذهبى ،
وكان ينبغى — لو حق الحق — أن يكوى بالنار
لقتلك الأمير الذى كان هذا التاج من حقه ،
ولما أنزلت بولدى وإخوتى من ميتة قاسية .
نبئنى أيها العبد الآثم — أين ولداى؟

الدوقة : أيتها الضفدع ، أيتها الضفدع ،
أين أخوك كلارنس وابنه الصغير «ند»(1) بلانتاجنت؟

الملكة إلزابث : أين ريفرز الوديع ، وفاجان ، وجراى ؟

الدوقة : أين هيستنجز الرحيم ؟

الملك رتشارد : انفخوا فى أبواقكم يا حملة الأبواق !
ودقوا طبولكم يا حملة الطبول ، حتى لا تسمع
السماء تلكما المرأتين النمامتين
وهما تحملان على من باركه زيتُ الله المقدس .

---

(1) ند = Ned

قلت لكم انفخوا — دقوا !

(أصوات أبواق وطبول)

إما إن تتجملا بالصبر وتحسنا الحديث إلى،
أو أغرق صيحات شكوا كما هكذا فى موسيقى
الحرب الصاخبة .

الدوقة : أأنت ولدى ؟

الملك رتشارد : أجل ، بحمد الله . ولد أبى وولدك .

الدوقة : إذن فلتستمع إلى ما يمليه نفاد صبرى فى شىء من الصبر

الملك رتشارد : سيدتى ، إن لى من طبعك نصيبا ،
فلست أحتمل وقع التقريع .

الدوقة : أوه ! دعنى أتكلم !

تكلمى إذن فلن أسمع .

الدوقة : سيكون كلامى رقيقا هادئا .

وسريعا يا أمى العزيزة ، فإنى فى عجلة ،

أو أنت فى عجلة ؟ يعلم الله ،
لقد بقيتُ طويلا من أجلك فى عذاب وألم وضنى .

الملك رتشارد : ثم ألم أولد لك فى النهاية لأكون سلواك ؟

الدوقة : كلا وحق الصليب المقدس . فأنت تعلم ، حق العلم ،
أنك جئت إلى الأرض لتجعل لى من الأرض جحيما

لقد كان مولدك عبئا أليما على ،
وكنت فى طفولتك شكسا عنيدا ،
وكنت أيام دراستك مخوفا ، نزقا ، عنيفا ، وحشى الطبع ،
وفى أيام شبابك مندفعا ، مقتحما ، مولعا بالمقامرة ،
وفى رجولتك صلفا ، ماكرا ، مخادعا ، محبا للدماء .
ولئن كنت قد أصبحت أكثر رقة ، فلقد أصبحت مع ذلك أكثر إيذاء ،
تلقى على بغضائك ستارا من الرحمة .
فأى سلوى إذن تستطيع أن تزعم ، أنك قد منحتنى بصحبتك ؟

الملك رتشارد : لعمرى ! إنها ليست إلا ساعة « همفرى »[1]
التى ذهبت فيها لتناول عشائك فحرمت من صحبتى .
إن كانت رؤيتى تسوؤك إلى هذا الحد
فدعينى أمض حتى لا أسبب لك استياء .
اقرعوا الطبول !

---

(١) اختلف النقاد فى تفسير عبارة ساعة همفرى اختلافاً شديداً ، والرأى المعقول أن شيكسبير استعمل هذه الكناية البعيدة إشارة إلى أولئك المتسكعين الذين كانوا لا يستطيعون أن يشتروا طعامهم أو يتسولونه فكانوا يتسكعون فى صحن كنيسة القديس بطرس حيث قبر بوشان ، الذى آمن العامة أنه قبر همفرى . ومن هنا ضرب المثل يتعشون مع دوق همفرى .

الدوقة : سألتك إلا سمعت كلامى

الملك رتشارد : إن كلامك ليفيض مرارة

الدوقة : اسمع منى كلمة واحدة ، فلن أتحدث إليك بعدها مرة أخرى .

الملك رتشارد : هكذا ؟

الدوقة : أجل ، فإما أن يقضى عدل الله أن تموت ،
قبل أن تعود ظافرا من هذه الحرب .
وإما أن يقضى على الحزن والشيخوخة
فلا أنظر إلى وجهك مرة أخرى .
فأحمل معك إذن أشد لعناتى ، فتؤودك يوم المعركة
أكثرمما يؤودك كل ما تتدرع به من عدة كاملة .
وستقاتل دعواتى إلى جانب أعدائك ،
ويهمس حينئذ روحا ولدى إدورد الصغيرين ،
إلى أرواح خصومك يعدانهم بالنصر والظفر .
إنك سفاح محب للدماء ،
وبالدماء ستكون خاتمتك .
لقد كان العار تابعك فى حياتك ، وسيصبك ساعة موتك .

(تخرج)

الملكة إلزابث : إن لدى بواعث أقوى لكى أستنزل عليك
اللعنات ، ولكنى مع ذلك أجد بنفسى عزوفا
عنها . فحسبي أن أؤمن على جميع دعواتها
الملك رتشارد : انتظرى يا سيدتى ، فلى معك كلمة .
(ينتحى بها جانباً)
الملكة إلزابث : إننى لم يعد لى أبناء من دم ملكى لتقتلهم .
أما بناتى ، أى رتشارد ، فسيكن راهبات
متبتلات
لا ملكات باكيات ، فلا تسدد سهامك لتغتال
حياتهن .
الملك رتشارد : إن لك ابنة طيبة جميلة تدعى إلزابث ،
نبيلة من دم ملكى
الملكة إلزابث : أومن أجل هذا يجب أن تموت ؟
أواه ! دعها تعش وسأفسد خلقها ، وأشوه جمالها ،
وأجلل نفسى بالعار ، فأزعم أنى خنت فراش إدورد ،
وألقى على ابنتى قناعا من الخزى ،
لكى تعيش فى مأمن من المذبحة الدامية .
سأعلن أنها ليست ابنة إدورد .
الملك رتشارد : لا تظلمى نسبها فإنها من دم ملكى .

الملكة إلزابث : سأقول إنها ليست كذلك لآمن على حياتها .
الملك رتشارد : إنما نسبها هو خير أمان لحياتها .
الملكة إلزابث : وبذلك الأمان وحده مات أخواها .
الملك رتشارد : كلا فقد ولدا فى ساعة نحس .
الملكة إلزابث : كلا ، ولكن أصدقاء الشر كانوا نحسا عليهما .
الملك رتشارد : إن القدر المكتوب لا مفر منه .
الملك رتشارد : ذلك حق حين يكون تجنب الخير هو الذى يملى القدر .
لقد كان من حق ولدى ميتة أكرم من تلك التى لقياها
لو أن الخير منحك حياة أكرم ،
الملك رتشارد : إنك تتحدثين إلى كما لو كنت قد قتلت ابنى أخى!
الملكة إلزابث : ابنى أخيك حقا ! وقد سلبهما عمهما
سعادتهما ، وملكهما ، وقرابتهما ، وحريتهما ، وحياتهما .
لقد كان تدبيرك من وراء تلك اليد التى طعنت
قلبيهما الغضين ،
ولا ريب أن السكين القاتلة
كانت كليلة مثلومة ،
حتى أرهفت على قلبك الحجرى ،
لتعبث فى أحشاء حملى الوديعين .
على أن هذا الحديث المتصل عن الأسى يخفف من
ضراوته .

فليسكت لسانى عن الحديث ، عن ولدى ، إلى أذنيك ،
إلى أن تعلق أظافرى بعينيك ،
وأندفع فأتكسر بددا على قلبك الصخرى ،
كزورق بائس فقد أسبابه ، وشراعه ،
فى بحر الموت الذى لا منجاة منه .

الملك رتشارد : سيدتى ، فليكتب الله لى النجاح ، فيما أنا مقدم عليه ،
من مغامرة خطيرة وحرب دموية ،
بقدر ما أبتغى لك ولبناتك من خير ،
وأعزف عن أن ألحق بكن أى ضر .

الملكة إلزابث : ماذا يمكن أن يخفى وجه السماء من خير
تستطيع أن تكشف عنه لخيرى ؟

الملك رتشارد : رقىّ بناتك يا سيدتى العزيزة .

الملكة إلزابث : إلى بعض المشانق حيث تهوى رؤوسهن ؟

الملك رتشارد : بل إلى العزة ، والشرف الرفيع ،
وأعلى شارة من شارات المجد فى هذه الأرض .

الملكة إلزابث : تملق أحزانى إذنْ وقل لى أى مكانة ،
وأى عزة وأى شرف
يمكن أن تمنحه إلى بنت من بناتى ؟

الملك رتشارد : كل ما أملك ، حتى نفسى ،

سأمنحها لإحداهن ،
حتى يغرق ، فى بحر النسيان ، روحك المغضب
تلك الذكرى الحزينة
لما تعتقدين أنى اقترفته فى حقك .

الملكة إلزابث : عجل إذن ، حتى لا يستغرق حديثك عن عطفك ،
أكثر مما يمكن أن يستغرق عطفك نفسه .

الملك رتشارد : إذن فاعلمى أنى أحب ابنتك من كل روحى .

الملكة إلزابث : ولكن أم ابنتى تعتقد من كل روحها . .

الملك رتشارد : ماذا تعتقدين ؟

الملكة إلزابث : إنك تحب ابنتى حبا
بعيدا كل البعد عن روحك ؛ كما أحببت أخويها ،
ومن جل ذلك أشكرك شكرا بعيدا كل البعد عن قلبى !

الملك رتشارد : لا تتعجلى وتسيئى فهم ما عنيت ،
لقد عنيت أنى أحب ابنتك بكل روحى ،
وأريد أن أجعلها ملكة لإنجلترة .

الملكة إلزابث : إذن فقل لى من هذا الذى تريده أن يكون
ملكا لابنتى ؟

الملك رتشارد : ذلك الذى سيجعلها ملكة . ومن غيره ؟

الملكة إلزابث : ماذا ! أنت ؟

الملك رتشارد : نعم أنا . فما قولك يا سيدتى ؟

الملكة إلزبث : وكيف تستطيع أن تكسب رضاها ؟

الملك رتشارد : ذلك ما أريد أن أعلمه منك ،
فأنت أعرفُ الناس بطباعها .

الملكة إلزابث : أتريد حقا أن تعلم منى ؟

الملك رتشارد : من صميم قلبى يا سيدتى .

الملكة إلزابث : إذن فارسل إليها مع من قتل أخويها ،
قلبين داميين محفورا على أحدهما
إسم إدورد ، وعلى الآخر اسم يورك .
ولعلها تبكى حينئذ . فأرسل إليها منديلا غمس
فى دم روتلاند ،
كما أرسلت مرجريت ، ذات مرة ، إلى أبيك ،
وقل لها إنه أُشربَ عصارة الحياة الحمراء
من جسد أخيها الجميل ،
واسألها أن تجفف به دموعها .
فإن عجز هذا الإغراء عن استمالة قلبها إليك ،
فأرسل إليها قصة أعمالك المجيدة ؛
وأنبئها أنك قتلت عمها كلارنس ،
وخالها ريفرز ، أجل ، ومن أجلها ، عجلْتَ بموت
عمتها العزيزة آن .

الملك رتشارد : إنك تهزأين بي ، يا سيدتي .
فليست هذه هي الطريقة التي بها أكسب رضى ابنتك .
الملكة إلزابث : ليست هناك طريقة أخرى ،
إلا أن تصبح إنسانا آخر ،
غير رتشارد الذي اقترف كل هذا .
الملك رتشارد : سأقول إني اقترفت كل هذا من أجل حبها ،
الملكة إلزابث : كلا فإنها حينئذ لن تملك حقا إلاأن تكرهك ،
إذ اشتريت هذا الحب بذلك الإثم الدموي .
الملك رتشارد : اسمعي إن ما كان لا يمكن إصلاحه ،
وسيظل الناس يتصرفون أحيانا في غير حكمة
ثم يندمون بعد حين على ما فعلوا .
ولئن كنت قد انتزعت الملك من ولديك ،
فلأعطينه لابنتك حتى أكفر عما فعلت .
ولئن كنت قد قتلت ما أخرجت رحمك ،
فسأنجب أبناءً من ابنتك ،
من دمك لأزيد من نسلك .
وليس اسم الجدة ، بأقل إثارة للحب
من اسم الأم الجميل .
وسيكون أحفادك ، كأبنائك ، وإن جاءوا من نسلك ،

وسيرثون عنك طباعك ودمك ؛
وسيجيء مولدهم مع ذلك المخاض الأليم نفسه ،
وستحتمل ابنتاك من أجلهم تلك الآلام التى احتملتها أنت ، عند مولدها .
لقد كان أبناؤك مثاراً لمتاعبك فى شبابك ،
أما أبنائى فسيكونون عزاءً لك فى شيخوختك .
إذاً لم تفقدى إلا ابنك الملك ،
وبهذا الفقد ستصبح ابنتك ملكة .
إننى لا أستطيع أن أعوّضك كما أحب ،
فاقبلى إذن ما أستطيع أن أمنحك من ودّ .
سيعود ابناك ، دورست ، سريعا إثر هذه المصاهرة الجميلة ؛
من تلك الأرض الأجنبية ، التى يستشعر فيها الخوف ،
ويحيا فيها حياة غير راضية ،
إلى حيث المناصب العالية والمجد العظيم .
وسيدعوه الملك فى غير كلفة « يا أخى[1] »
إذ يدعو ابنتك الجميلة « يا زوجى » .

---

(١) لأنه أخو زوجه .

وستكونين أنت مرة أخرى أم الملك[1] .
وتصلح السعادة المضاعفة
ما قوضته مصائب الزمن .
عجبا إن أمامنا أياما كثيرة سعيدة سنشهدها .
وستعود إليك تلك الدموع المسفوحة التى أرقتها
بعد أن تستحيل إلى لآلىء من الشرق ،
فتكون قد أكسبتك
من السعادة ربحا مضاعفا .
اذهبى إذن يا أماه إلى ابنتك ،
اذهبى وانتزعيها ، بمالك من تجربة ، من شبابها الخجول ؛
وهيئى أذنيها لسماع قصة الغزل من خطيبها .
وألقى فى قلبها الغض تلك الجذوة المتطلعة إلى الحكم المجيد .
حدثى الأميرة عن متع الزواج ،
وما فيه من ساعات حلوة هادئة .
وبعد أن تؤدب ذراعى هذه ،
ذلك الثائر الوضيع ، بكنجهام ، الأحمق ؛
سأعود مكللا بالغار ،
لأقود ابنتك إلى فراش الظافر الا ،

---

(١) لأنها أم زوجه .

وسأقص عليها قصة نصرى ،
وستكون هى وحدها المنتصرة ، قيصرا فوق قيصر !
الملكة إلزابث : ماذا أأقول : أقول لها جاءك أخو أبيك خاطباً ؟
أو أقول لها عمك ؟
أو أقول لها من قتل أخويك وأخوالك ؟
بأى اسم يرضاه الله والقانون والشرف
وما فى نفسها من حب ،
يمكن أن أغرى شبابها الرقيق بقبولك ؟
الملك رتشارد : قولى لها إن فى تلك المصاهرة سلامةُ إنجلترة .
الملكة إلزابث : وستشتريها هى بحرب مقيمة أخرى .
الملك رتشارد : قولى لها إن الملك ، الذى يستطيع أن يأمر ، يتوسل إليك .
الملكة إلزابث : لتفعل ما حرمه ملك الملوك ؟
الملك رتشارد : قولى لها إنها ستكون ملكة عظيمة عزيزة .
الملكة إلزابث : لتبكى هذا اللقب ، بعدُ كما تفعل الآن أمها ؟
الملك رتشارد : قولى لها إنى سأحبها حبا يدوم إلى الأبد .
الملكة إلزابث : ولكن إلى متى يدوم ذلك اللقب ؟
الملك رتشارد : سيظل يستمد منها جمالا حتى نهاية حياتها الجميلة .
الملكة إلزابث : ولكن إلى متى تدوم حياتها الجميلة ؟
الملك رتشارد : إلى ما شاء الله وشاءت سنةُ الكون .

الملكة إلزابث : إلى ما شاء الجحيم وشاء رتشارد !

الملك رتشارد : قولى لها إنى ، وأنا ملكها ، أعتبر نفسى أحد رعاياها المخلصين .

الملكة إلزابث : ولكنها — وهى رعيتك — تنفر من هذا الملك .

الملك رتشارد : نمّقى لها حديثك عنى .

الملكة إلزابث : إن قول الحق ينبغى أن يكون بغير تنميق .

الملك رتشارد : إذن فحدثيها بغير تنميق حديث حبى ،

الملكة إلزابث : إن قول الحق دون تنميق فيه كثير من القسوة .

الملك رتشارد : إن حججك ضحلة ، متسرعة إلى حد بعيد .

الملكة إلزابث : بل هى عميقة أعظم العمق ، ساكنة أعظم السكون ،
كقبر ولدى المسكينين الساكن العميق !

الملك رتشارد : لا تضربى على هذا الوتر يا سيدتى ، فذلك شىء مضى .

الملكة إلزابث : بل سأضرب عليه حتى تنقطع أوتار قلبى .

الملك رتشارد : بحق القديس جورج وشارة فروسيتى وتاجى . .

الملكة إلزابث : لقد دنست الأول ، وأخزيت الثانية ، واغتصبت الثالث

الملك رتشارد : أقسم . . .

الملكة إلزابث : لا تقسم شيئا ، إذ ليس هذا بقسم .
فإن القديس جورج الذى دنسته فقد قداسته ،

والشارة التى وصمتها بالخزى ، تخلت عن خلال
الفروسية الحميدة .
والتاج الذى اغتصبته أزرى بجلاله الملكى .
فإن كان لنا أن نصدق شيئا تقسم به ،
فأقسم بشىء لم يصبه منك أذى .

الملك رتشارد : إذن أقسم بنفسى .
الملكة إلزابث : لقد أسأت إلى نفسك .
الملك رتشارد : الآن أقسم بالعالم ،
الملكة إلزابث : الملىء بآثامك الشريرة
الملك رتشارد : وبممات أبى .
الملكة إلزابث : لقد جللت حياتك مماته بالعار .
الملك رتشارد : إذن أقسم بالله ،
الملكة إلزابث : إن إثمك فى حق الله أكبر آثامك .
فلو خشيت أن تحنث بقسمك الذى أقسمته به
لما انصدع ذلك الشمل الذى جمعه
أخوك الملك ، ولما قتل أخى .
ولو قد خشيت أن تحنث بقسمك الذى أقسمته به
لازدانت وجنتى ولدى الغضتين بذلك التاج
الملكى الذى يزين الآن مفرقك ، ولكن الأميرين
لا يزالان هنا ، يتنفسان أنفاس الحياة ،

بدل أن يكونا — كما هما الآن —
وسادتين رقيقتين للتراب ،
وفريستين للدود ، لحنثك بقسمك .
فبم تستطيع أن تقسم الآن ؟

الملك رتشارد : بالمستقبل .

الملكة إلزابث : الذى أثمت فى حقه بإثمك فى حق الماضى ؟
إن دموعى ستظل تذرف فى المستقبل
لما اقترفت من آثام فى ذلك الماضى .
فما زال الأبناء الذين قتلت آباءهم يعيشون ،
وسيبكون فى كهولتهم شبابهم المضيع .
وما زال الآباء الذين قتلت أبناءهم يعيشون ،
كالنباتات الشائخة الذابلة .
يبكون مع شيخوختهم مصرع أبنائهم .
فلا تقسم إذن بالمستقبل ؛ فقد أسأت إليه
قبل أن تقدم إليه أي خير ، بما اقترفت فى الماضى .

الملك رتشارد : فليكتب الله لى النجاح فيما أنا مقدم عليه من
حرب خطيرة مع الأعداء ،
بقدر نيتى الصادقة فى التوبة والفلاح .
ولتحل بى اللعنة ، ثم لتحل بى اللعنة ، وليكتب

الله والأقدار على الشقاء ،
وليحجب النهار عنى نوره ، والليل راحته ،
ولتقف كل أبراج النحس فى سبيل كل عمل آتيه ،
إن لم أمنح ابنتك الأميرة الجميلة حبى القلبى ،
وإخلاصى الصادق ، وودى البرىء !
فهى قوام سعادتى وسعادتك ؛
ومن دونها سيحل الموت ، والوحشة ، والخراب ، والدمار ،
بهذه الأرض ؛ وبى وبك وبها ، وبكثير من المسيحيين الأتقياء .
ولا يمكن اتقاء هذا
إلا بتلك المصاهرة
ولن يُتقى من دونها .
لذلك كونى لها يا أماه العزيزة
— ولا بد أن أدعوك بهذا الاسم — شفيعَ حبى ،
وذكريها بما سأكون ، لا بما كنت ،
وبما سأكون أهلا له ، لا بما أنا أهل له الآن .
بصريها بما نحن فيه من حرج .
وبضرورة هذا الزواج ،
ولا تجعلى لحبك الأحمق الغلبة على جسام الأمور .

الملكة إلزابث : أأستجيب هكذا لإغراء الشيطان ؟

الملك رتشارد : أجل إذا أغراك الشيطان بالخير .

الملكة إلزابث : أأنسى نفسي لكى أرضى نفسى ؟

الملك رتشارد : أجل إذا كان فى ذكرك لنفسك ظلم لنفسك .

الملكة إلزابث : ولكنك قتلت ولدىّ !

الملك رتشارد : ولكنى سأدفنهما فى رحم ابنتك ،
حيث ينسلان فى ذلك العش التركى(١) من نفسيهما
نفوسا تكون عزاءً جديدا لك .

الملكة إلزابث : أأمضى لكى أكسب لك رضى ابنتى ؟

الملك رتشارد : لتصبحى بذلك أمًّا سعيدة

الملكة إلزابث : سأذهب . وأكتب سريعا إلى فأنبئك برأيها .

الملك رتشارد : احملى إليها قبلة من حبى الصادق (يقبلها) وإلى اللقاء
(تخرج الملكة إلزابيث)
أيتها الحمقاء الغفور الساذجة المتقلبة !
(يدخل راتكليف يتبعه كاتسبى)
إيه ! ما وراءك من أنباء ؟

راتكليف : مولاى الأجل هناك عند الساحل الغربى

---

(١) يشير شيكسبير بذلك إلى العش الخرافى فى بلاد العرب الذى أحرقت فيه العنقاء فولدت بذلك عنقاء أخرى .

يمخر أسطول قوى ؛
وعلى شواطئنا يحتشد كثير من أصدقائنا المترددين الجبناء
بغير سلاح ولا إرادة لصدّ ذلك الأسطول .
ويقال إنه بقيادة « ريتشموند »
وقد طوى أشرعته فى انتظار مقدم بكنجهام ،
ليرحب بهم ويعينهم على النزول .

الملك رتشارد : فليمض أحد أصدقائنا على جناح السرعة إلى دوق نورفوك
وليكن أنت يا راتكليف أو كاتسبي . أين هو ؟

كاتسبى : هأنذا يا مولاى

الملك رتشارد : كاتسبى طر إلى الدوق !

كاتسبى : سأذهب بأسرع ما يمكن

(إلى راتكليف) وأسرع أنت إلى سالسبورى ،
فإذا بلغتها . .
(إلى كاتسبى) أيها الوغد الغبى الأحمق ،
لم تقف جامدا هكذا بدل أن تذهب إلى الدوق ؟

كاتسبى : قل لى أولا يا مولاى الجليل
ما هى إرادتك السنية وماذا أبلغه عن جلالتك ؟

الملك رتشارد : هذا حق يا عزيزى كاتسبى . قل له أن يجمع فى الحال ،

أكبر قوة يستطيع جمعها ،
ويلقانى سريعا فى سالسبورى

كاتسبى : سأذهب . .
(يخرج)

راتكليف : وماذا تريدنى جلالتك أن أفعل فى سالسبورى ؟

الملك رتشارد : عجبا ، وماذا تستطيع أن تفعل قبل أن أذهب أنا هناك ؟

راتكليف : لقد أمرتنى جلالتك أن أسبقك إلى هناك ؛

الملك رتشارد : لقد غيرت رأيى أيها السيد ،
(يدخل لورد ستانلى) ما لديك من أنباء ؟

ستانلى : ليس لدى أنباء طيبة يسرك سماعها يا مولاى ؛
ولكنها ليست غاية فى السوء. ومالى بدمن ذكرها .

الملك رتشارد : يا له من لغز ! ليست طيبة وليست سيئة !
لم تكلف نفسك هذا الالتواء الطويل ،
على حين تستطيع أن تقول ما لديك ، بأقصر طريق ؟
مرة أخرى ، ما لديك من أنباء ؟

ستانلى : إن ريتشموند على ظهر البحر .

الملك رتشارد : فليغرق هناك ، وليركب البحر ظهره ،
ذلك الأفاق الرعديد ، ماذا يفعل هناك ؟

ستانلى : لا علم لى يا مولاى الجليل إلا بالحدس .

الملك رتشارد : قل ماذا تحدس ، ماذا تحدس ؟

ستانلى : لقد حرضه دورست . وبكنجهام ، ومورتون
على القدوم إلى إنجلترة ليطلب التاج لنفسه .
الملك ستانلى : أو قد خلا العرش ؟ أو قد أغمد سيف الملك ،
أم مات الملك ، أم اختلت أمور الدولة ؟
من هناك على قيد الحياة من ورثة يورك غيرى أنا ؟
ومن ملك إنجلترة غير وارث يورك العظيم ؟
قل لى إذن ماذا يفعل فى البحر ؟
ستانلى : إن لم يكن لما قلت ، فلا أستطيع يا مولاى أن
أحدس سببا آخر .
الملك رتشارد : لا تستطيع أن تحدس إلا أن هذا « الويلزى »
قد جاء ليكون مولاك ؟
أخشى أن تنتقض وتفر إليه .
ستانلى : كلا يا مولاى الجليل ، فلا تسئ بى الظن .
الملك رتشارد : أين إذن جيشك ليصده ؟
أين أجراؤك وأتباعك ؟
أليسوا الآن على الشاطئ الغربى
ينزلون الثوار من سفنهم فى أمان ؟
ستانلى : لا يا مولاى العزيز . إن أصدقائى فى الشمال .
الملك رتشارد : أصدقاء فاترون لرتشارد ! ماذا يفعلون فى الشمال !

فى حين ينبغى أن يخدموا مليكهم فى الغرب ؟

ستانلى : إنهم لم يؤمروا بذلك يا مولاى الجليل ،
إإذن لى ، فأجمع أعوانى ،
وألقى جلالتك ،
فى أى مكان وزمان تحب .

الملك رتشارد : نعم ، نعم ، لتذهب فتنضم إلى ريتشموند !
لن أثق بك أيها السيد .

ستانلى : مولاى الأجل — ليس هناك ما يدعوك إلى الريبة
فى إخلاصى ،
فما كنت يوما خائنا ، ولن أكونه .

الملك رتشارد : حسن — اذهب واجمع الرجال .
ولكن عليك أن تترك ابنك «جورج ستانلى» رهينة هنا .
فإن لم تدم على ولائك كان رأس ابنك فى خطر .

ستانلى : فليكن جزاؤه بقدر إخلاصى لك .
(يخرج) (يدخل رسول)

الرسول : مولاى الكريم . بلغنى من بعض الأصدقاء ،
أن سير إدورد «كورتنى» وأخوه الأكبر الصلف
أسقف «إكستر» مع أعوان كثيرين
قد حشدوا قواتهم فى «ديفونشير»
(يدخل رسول آخر)

الرسول الثانى : مولاى ، لقد حشدت أسرة «جلفورد» جيشها

وفى كل ساعة يهرع إلى الثائرين
كثير من الأعوان ، وتزداد قوتهم .
(يدخل رسول ثالث)

الرسول الثالث : مولاى ، أن جيش دوق بكنجهام الكبير . .

الملك رتشارد : أغربوا عن وجهى أيها الغربان !
لا شيء غير أغنيات الموت ؟ (يلطمه)
خذ هذه حتى تجيئنى بأنباء أطيب .

الرسول الثالث : إن الأنباء التى أحملها إلى جلالتك
هى أن السيول المفاجئة ، والأمطار الغزيرة
قد فرقت شمل جيش بكنجهام .
وهام على وجهه وحيدا إلى حيث لا يعرف أحد .

الملك رتشارد : سألتاك الصفح ! هاك كيسى ليشفى لطمتك .
هل أعلن أحد من أصدقائنا الحصفاء
عن جائزة لمن يأتى بالخائن ؟

الرسول الثالث : لقد تم ذلك يا مولاى .
(يدخل رسول آخر)

الرسول الرابع : بلغنى يامولاى أن سير توماس لوفل والمركيز دورست
قد حشدا قواتهما فى يوركشير .
ولكنى مع ذلك أحمل أنباء أخرى تسر جلالتك .
فقد شتتت العاصفة أسطول بريتانى .

وأرسل ريتشموند زورقا إلى شاطئ دورستشير (١)
ليسأل مَن هناك هل هم من أنصاره .
فكان جوابهم أنهم قد جاءوا
مع جيش بكنجهام لنصرته ؛
ولكنه لم يثق بهم ،
ونشر أشرعته ، وعاد إلى بريتانى .

الملك رتشارد : إلى الأمام، إلى الأمام، مادمنا قد تهيأنا للحرب!
إن لم يكن لقتال أعدائنا من الأجانب ،
فلكى نقضى على هؤلاء الثوار فى أرض الوطن .

(يعود كاتسبى)

كاتسبى : مولاى — لقد قبض على دوق بكنجهام .
وهذا خير ما عندى من أنباء .
ولكن لدى أنباء أخرى غير طيبة .
فقد نزل إيرل ريتشموند مع قوة كبيرة فى «ملفورد(١)» .

الملك رتشارد : إلى سالسبورى ! فربما تقرر هناك
مصير معركة فاصلة بينما نتحاور نحن هنا .
وليأمر أحدكم أن يحمل بكنجهام إلى سالسبورى
وليمض سائركم معى .

(أصوات أبواق . يخرجون)

---

(١) دورستشير Dorsetshire

(١) ملفورد Milford

الفصل الرابع

المنظر الخامس

بيت لورد ستانلى

(يدخل لورد ستانلى وسير كريستوفر ايرسويك وهو قسيس)

ستانلى : أى سير كريستوفر ، بلغ هذا عنى إلى ريتشموند
أن ابنى ، جورج ستانلى ، سجين
فى حظيرة ذلك الخنزير البرى السفاح
فإذا ثرت طاحت رأس جورج ،
وهذا مايمنعنى أن أقدم إليه الآن مافى طاقتى من عون ؛
فامض أنت لسبيلك ، وبلغ سلامى لعظمته ،
وقل له إن الملكة قد وافقت من قلبها
على خطبة الملك لابنتها .
ولكن قل لى ، أين الأمير ريتشموند ؟

كريستوفر : فى « بمبروك » ، أو « هارفورد وست » ، فى « ويلز » .

دورست : ومن معه من أعلام الرجال ؟

كريستوفر : سير « ولتر هربرت » وهو محارب مغوار ،
وسير « جلبرت تالبوت » وسير « وليام ستانلى »

« وإيرل أكسفورد » و« إيرل بمبروك »ملقى الرعب
في القلوب .
«وسير جيمي بلنت » « ووريس آب توماس »، مع
جماعة من المقاتلين الشجعان .
وكثير غيرهم من ذوى الشهرة والقدر .
وهم الآن فى طريقهم إلى لندن
إن لم يصدهم عنها أحد .

ستانلى : عد إلى مولاك وأبلغه تحياتى ،
وسيعرف رأيى من هذه الرسالة ،
إلى اللقاء .
(يخرجان)

الفصل الخامس

المنظر الأول

سالسبورى ـــ ساحة كبيرة

(يدخل قائد الشرطة و بكنجهام مع حملة الرماح فى طريقه إلى الإعدام)

بكنجهام : أيرفض الملك رتشارد أن أتحدث إليه ؟

القائد : أجل يا سيدى اللورد الكريم فتجمل بالصبر .

بكنجهام : أى هيستنجز ، أى ولدى إدورد ، أى ريفرز وجراى
أيها الملك القديس هنرى ، وابنه الجميل إدورد ،
أى فوجان ، أى جميع من أصابهم
الظلم الدنىء والدسائس الخسيسة ،
فلتسخر ، من مصرعى بدافع الانتقام ،
أرواحكم الساخطة القلقة ،
إن كانت تنظر الآن إلىّ من خلال السحب .
أليس اليوم يا صاحبى يوم « جميع الأرواح[1] » ؟

---

(١) يوم يحتفل فيه بذكرى الموتى .

الضابط : أجل يا سيدى

بكنجهام : إذن فهو يوم مصرعى .

إنه اليوم الذى سألت الله أمام الملك إدورد
أن يقضى علىّ فيه إن خنت أطفاله أو شيعة زوجه .
إنه اليوم الذى سألت الله فيه
أن تقتلنى خيانة من أوليه كل ثقتى ،
إنه « يوم جميع الأرواح » لنفسى المرتاعة ،
إنه اليوم المحتوم
الذى تنتهى فيه آثامى .
لقد قذف الله العليم بدعواتى الكاذبة
على رأسى قصاصا من استخفافى به .
واستجاب فى جد لما سألته إياه فى عبث .
وهكذا يجبر سيوف الأشرار
أن تتحول أسنتها إلى صدور أصحابها .
الآن حلت علىّ لعنة مرجريت الثقيلة حين قالت :
« وسينفطر قلبك مما يصيبك به من أسى » .
ولسوف تذكر أن مرجريت كانت تحسن التنبؤ
هيا أيها الضباط امضوا بى إلى نطع العار ،
فالظلم لا يورث إلا الظلم ، والقتل يستتبع القتل .

الفصل الخامس

المنظر الثانى

المعسكر قرب تامورث Tameorth

(يدخل ريتشموند وأكسفورد وهربرت وآخرون بالطبول والأعلام)

ريتشموند : يا رفاق الحرب ، ويا أوفى الأصدقاء ،
يا من قرّحهم حمل نير الطغيان ،
لقد أبعدنا فى أحشاء هذه الأرض
دون عائق ، وها نحن أولاء
قد تلقينا كتابا من أبينا[1] ستانلى ،
فيه كثير من الطمأنينة والتشجيع .
إن ذلك الخنزير البرى الشقى السفاح المغتصب ، ذلك
الذى نهب حصاد حقولكم الصيفى ، وكرومكم المثمرة ،
وأراق دماءكم الحارة كأنها مياه يغسل بها يديه .

(١) زوج أمه

واتخذ لنفسه حوضا من ماء صدوركم الصادية ،
إن ذلك الخنزير القذر يقيم الآن — فيما بلغنا —
فى قلب هذه الجزيرة بالقرب من مدينة لستر ،
وليس بين « تامورث » وتلك المدينة إلا مسيرة يوم .
فسيروا باسم الله أيها الأصدقاء الشجعان ،
اجتنوا ، بمحنة حرب دموية واحدة ،
ثمار السلام الدائم .

أكسفورد : إن ضمير كل منا يقوم فى قتال ذلك السفاح
مقام ألف سيف !

هربرت : ليس لدىّ شك فى أن أصدقاءه سينقلبون عليه
وينحازون إلينا .

بلنت : إنه لا أصدقاء له إلا أصدقاء الخوف .
وسيهجرونه فى أحرج ساعاته .

ريتشموند : إن كل شىء يُعيننا فباسم الله سيروا ،
إن الأمل الصادق سريع يطير بجناحين ؛
إنه يصنع من الملوك آلهة ، ومن العامة ملوكا .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المنظر الثالث

ساحة المعركة فى بوسورث (Boworth)

(يدخل الملك رتشارد فى سلاحه مع نورفوك وإيرل سرى وآخرون)

الملك رتشارد : انصبوا خيامنا فى هذا المكان . بل هنا فى ساحة بوسورث
أى سرى ، لم تبدو هكذا عظيم الاكتئاب ؟
سرى : إن قلبي أشد بهجة من وجهى بكثير !
الملك رتشارد : أى سيدى اللورد نورفوك !
نورفوك : لبيك مولاى الأجل !
الملك رتشارد : أى نورفوك ، لا بد لنا أن نلقى شيئا من اليأس ، أليس كذلك ؟
نورفوك : لا بد لنا أن نعطى ونأخذ يا مولاى العزيز .
الملك رتشارد : هلا أقمتم خيمتى ! فسأمضى هنا الليلة .
أما غدا ، فأين ؟ سيان .
ولكن دعونا من هذا . من منكم استطلع عدد الخونة ؟
نورفوك : ستة آلاف أو سبعة على الأكثر

الملك رتشارد : إيه . إن جيشنا يبلغ ثلاثة أمثال هذا العدد ؛
ثم إن اسم الملك قوةٌ كالحصن وهي تنقص العدو .
أقيموا خيمتي هنا ، هيا أيها الرجال الشجعان ،
دعونا ندرس ساحة المعركة .
ادعوا بعض الرجال من ذوى الخبرة ،
وليكن النظام والسرعة رائدنا ،
فإن غدا أيها اللوردات سيكون يوما حافلا .

(يدخل من الجانب الآخر من الساحة ريتشموند وسير وليم براندون واكسفورد وآخرون ينصب بعض الجنود خيمة ريتشموند)

ريتشموند : لقد غربت الشمس المنهكة . في شفق ذهبي .
وخلفت عربتها النارية وراءها
طريقا مؤتلقا يؤذن بغد مشرق .
أي سير وليم براندون ، ستكون أنت حامل علمي .
ائتوا إلى خيمتي ببعض المداد والورق ؛
لأرسم خطة المعركة التي سنخوضها وسيرها ؛
وأحدّد لكل قائد عمله .
وأقسم جيشنا الصغير قسمة مناسبة ،
أما أنت يا سيدى اللورد أكسفورد ، وأنت
يا سير وليم براندون[1] ؛

---

(١) براندون Brandon

وأنت يا سير ولتر[١] هربرت ، فابقوا معى .
وليبق إيرل بمبروك[٢] مع كتيبته .
وليحمل إلينا كابتن بلنت الكريم تحيتى ،
ويبلغه أن يأتى إلىّ فى خيمتى ،
فى الساعة الثانية صباحا .
ولكن ، بقى شىء واحد يا عزيزى بلنت ،
تقوله لى قبل أن تذهب ،
أتعلم أين يعسكر اللورد ستانلى ؟

بلنت : إن فرقته — إن لم أكن أخطأت أعلامه ،
وما أظنى فعلت ،
ترابط جنوباً على بعد نصف ميل على الأقل ،
من قوة الملك الحاشدة .

ريتشموند : إن استطعت دون أن تعرض نفسك للخطر ،
أى بلنت العزيز ، فبلغه تحياتى
واحمل إليه منى هذه الرسالة الخطيرة .

بلنت : قسما بحياتى لأفعلن يا مولاى .

---

(١) ولترهربرت Walter Herbert

(٢) بمبروك Pembroke

والآن طابت ليلتك !

رتشموند : طابت ليلتك يا عزيزى الكابتن بلنت .

هيا أيها السادة ، دعونا نتدبر أمر الغد ،

هيا ، ادخلوا إلى خيمتنا فالهواء بارد رطب .

(يدخلون الخيمة)

(يدخل الملك رتشارد إلى خيمته مع نورفوك وراتكليف وكاتسبى وآخرون)

الملك رتشارد : كم الساعة ؟

كاتسبى : إنها ساعة العشاء يا مولاى ، التاسعة .

الملك رتشارد : لن أتعشى الليلة .

علىّ ببعض المداد والورق .

أأصلحت خوذتى ،

ووُضع سلاحى جميعه فى خيمتى ؟

كاتسبى : أجل يا مولاى . لقد أعدّ كل شىء

الملك رتشارد : أى عزيزى نورفوك ، أسرع إلى شأنك

ولا تغفل عن الحراسة ، واختر حراسا تثق بهم .

نورفوك : سأذهب يا مولاى

الملك رتشارد : استيقظ غدا مع الطير يا عزيزى نورفوك .

نورفوك : اطمئن يا مولاى .

الملك رتشارد : كاتسبى !

كاتسبى : مولاى !

الملك رتشارد : أرسل رسولا رسميا مسلحا
إلى كتيبة ستانلى ليسأله أن يقدم بقوته قبل مطلع الشمس ،
وإلا سقط رأس ابنه جورج
فى كهف الليل المظلم الأبدى . (يخرج كاتسبى)
املأ لى قدحا من النبيذ ، وآتنى بساعة[1] ،
وأسرج جوادى الأبيض ، « سرّى » لمعركة الغد .
وأعد لى رماحا سليمة غير بالغة الثقل . .
راتكليف !

راتكليف : مولاى ؟

الملك رتشارد : أرأيت لورد نورثمبرلاند ذلك الكئيب[2] ؟

راتكليف : لقد كان يطوف بالجيش ساعة الغسق ،
هو وإيرل سرّى ينتقل من فصيلة إلى فصيلة ،
ليستثير حماسة الجنود .

---

(١) المقصود بالساعة هنا شمعة مقسمة إلى أقسام تحترق فى وقت معلوم .

(٢) لورد نورثمبرلاند (Northumberland) سماه رتشارد الكئيب لأنه لم ينصر قضيته

الملك رتشارد : هذا يرضينى . أعطنى قدحا من النبيذ
فإنى ، على غير عادتى ، مثقل مهموم
ضعها . هل أعددت المداد والورق ؟

راتكليف : أجل يا مولاى .

الملك رتشارد : مُرْ حرسى أن يشددوا الحراسة . اتركونى الآن
وعد أنت يا راتكليف إلى خيمتى ، قرب منتصف الليل ،
لتعنى على ارتداء دروعى . قلت لكم اتركونى .

(يخرج راتكليف ويدخل رتشارد إلى خيمته)

(يدخل دربى إلى ريتشموند فى خيمته والنبلاء وغيرهم ماثلون فى حضرته .)

دربى : قام اليمن والنصر على خوذتك .

ريتشموند : منحك الليل البهيم
كل راحته يا أبانا النبيل .
قل لى ، كيف حال أمنا الحبيبة ؟

دربى : لقد سألتنى أن أباركك عنها ،
وهى تدعو دواما لريتشموند بالخير .
ولكن دعنا من هذا . لقد تسللت الساعات فى صمت
وبدأت الظلمات تتصدع فى الشرق ،
وصفوة القول أن الوقت يقتضى

أن تعجل بالتأهب للمعركة فى الصباح الباكر ،
وأن تتخذ من الطعنات الدامية والقتال المميت
حكما يقرر مصيرك .
أما أنا فإنى لم أقدم عندما كنت أستطيع ،
فكيف بى إذا كان ما أتمناه لا أستطيعه ؟
على أنى سأتحين الفرصة للتحايل على الزمن
وآتى
لنجدتك فى تلك المعركة التى لا يمكن أن يجزم
بنتيجتها أحد .
وددت لو استطعت أن أجهر بمناصرتى لك .
ولكن أخشى أن ينكشف أمرى ،
فيقتل أخوك ، الغض الإهاب ، جورج ، فى
حضرة أبيه .
إلى اللقاء ، فإن ضيق الوقت وحرجه ، لا يسمحان
بإظهار آيات الود وعهوده ، ولا بالاسترسال
فى تبادل الحديث العذب ،
الذى يتوق إليه صديقان افترقا طويلا
ألا فليمنحنا الله فسحة من الوقت ، نقيم فيها شعائر
الودّ هذه .

وأقول لك مرة أخرى ، إلى اللقاء . ولتكن مقداما ،
وليكتب الله لك النصر .

ريتشموند : أيها السادة الأعزاء رافقوه إلى كتيبته ،
وسأحاول — على ما بى من قلق — أن أختلس شيئا
من نوم خفيف ،
حتى لا يؤودنى النوم الثقيل فى الغد ،
على حين ينبغى أن أطير حينئذ بجناحىّ النصر .
ومرة أخرى أقول لكم طابت ليلتكم أيها النبلاء والسادة
الأعزاء .

(يخرجون ويركع ريتشموند) .

رباه ، يا من أعد نفسى قائد جنده ،
ارع ، بعينك الرحيمة ، جنودى :
وضع فى أيديهم سيوف غضبك القاطعة ،
ليسحقوا بضرباتها الثقال ،
خوذات أعدائنا الغاصبين :
ويُطيحوا بها إلى الأرض
واجعل منا رسل عقابك لنحمدك عند النصر !
إليك أسلم نفسى اليقظى ،
قبل أن يسدل النوم ستاره على عينىّ ،

فاحرسنى فى نومى ويقظتى .

(ينام) (يظهر شبح الأمير إدوارد ولد هنرى السادس بين الخيام)

الشبح : (إلى رتشارد) فلأجثمن على روحك غدا

أتذكر كيف طعنتنى فى ريعان شبابى فى توكسبرى ؟

فليحل بك اليأس والموت ، إذن !

(إلى رتشموند) تشجع أى ريتشموند ، فإن أرواح القتلى

من الأمراء المظلومين تقاتل معك ،

أنا ولد الملك هنرى ، جئت ألقى فى نفسك الطمأنينة .

(يختفى) (يظهر شبح هنرى السادس)

الشبح : (إلى رتشارد) لقد أثخنت جسدى بطعناتك القاتلة

قبل أن أنتقل إلى دار الخلود .

فليحل بك اليأس والموت .

أنا هنرى السادس أبشرك باليأس والموت .

(إلى ريتشموند) أيها التقى الطاهر ، فليكتب لك النصر .

أنا هارى — الذى تنبأ لك بالملك —

جئت اطمئنك فى منامك . فانتعش واسعد .

(يظهر شبح كلارنس)

الشبح : (إلى رتشارد) فلأجثمن على روحك غدا .

أنا كلارنس المسكين الذى قتلته خيانتك ،

وغسلته فى النبيذ الكثيف ،
اذكرنى غدا فى المعركة ،
وألق من يدك سيفك المثلوم ، وليحل بك اليأس والموت !
(إلى ريتشموند) أى سليل لانكستر ،
إن ورثة يورك ، الذين ظلموا ، يصلون من أجلك :
فلتحرسك فى قتالك الملائكة الأخيار ! ولتعش ، ولتسعد !

(تظهر أشباح ريفرز وجراى وفوجان)

شبح ريفرز : (إلى رتشارد) فلأجثمن على روحك غدا !
أنا ريفرز قتيل بومفرت ؛ فليحل بك اليأس والموت.

شبح جراى : (إلى رتشارد) اذكر جراى ، وليحل بروحك اليأس

شبح فوجان : (إلى رتشارد) اذكر فوجان ، ولتصبك خطاياك بخوف
يلقى رمحك من يدك ،
وليحل بك اليأس والموت .

الجميع : (إلى رتشموند) انهض ! واذكر أن ما اقترف رتشارد
فى حقنا من ظلم
يثوى فى صدره ويهزمه . انهض واكسب المعركة .

(يظهر شبح لورد هيستنجز)

الشبح : (إلى رتشارد) أيها السفاح الأثيم ، انهض مثقلا بالإثم ،
واختم أيامك فى معركة دامية !

اذكر اللورد هيستنجز وليحل بك اليأس والموت
(إلى ريتشموند) أيتها النفس الراضية المطمئنة انهضى ، انهضى !
وخذى سلاحك وقاتلى وانتصرى من أجل إنجلترة العزيزة
(يختفى) (يظهر شبحا الأميرين الصغيرين)

الشبحان : (إلى رتشارد) فلتحلم بولدى أخيك الصغير اللذين خُنقا فى البرج :
وانجثمن كالرصاص الثقيل على صدرك أى رتشارد
ولنثقلنك حتى يحل بك الدمار والخزى والموت !
إن روحى ولدى أخيك يبشرانك باليأس والموت
(إلى ريتشموند) أى ريتشموند — نم — نم — ، نم فى سلام واستيقظ فى سرور وحبور
ولتحرسك الملائكة بين الأخيار من شر الخنزير البرى !
عش وأنجب نسلا سعيداً من الملوك ،
إن ولدى إدورد البائسين يطلبان لك التوفيق .
(يختفيان) (يظهر شبح آن زوجه)

الشبح : (إلى رتشارد) أى رتشارد — هذه زوجك ، زوجك الشقية ،

آن التي لم يغمض لها جفن معك ،
تملأ الآن نومك بالقلق . اذكرني غدا في المعركة ،
وليسقط سيفك المثلوم من يدك .
وليحل بك اليأس والموت !

(إلى ريتشموند) أيها الروح المطمئن نم في سلام :
واحلم بالنجاح والنصر السعيد !
إن زوج خصمك تدعو لك .

(يظهر شبح بكنجهام)

الشبح : (إلى ريتشارد) لقد كنتَ أول من أعانك لتظفر بالتاج ،
وكنتُ آخر من ذاق طعم طُغيانك :

إيه ، فلتتذكر في المعركة . بكنجهام ،
ولتمت رعبا مما تجده في آثامك !
احلم ، احلم بخطاياك الدموية وبالموت .
ولتصبك غشية تدفعك إلى اليأس ، ولتلفظ في يأس
آخر أنفاسك .
(إلى ريتشموند) لقد مت من اليأس قبل أن أستطيع
خدمتك .

لكن لا تبتئس وتشجع !
إن الله ، وملائكته الأخيار ، يقاتلون فى صف ريتشموند ؟
وسيهوى رتشارد من علياء مجده (يختفى) .

(يستيقظ رتشارد من حلمه)

الملك رتشارد : علىّ بجواد آخر ! ضمدوا جراحى !
رحماك يا عيسى ، رفقا لقد كان مجرد حلم !
أيها الضمير الوجل ، كما تعذبنى !
إن الشموع ترسل لهبا أزرق[1] ، إننا الآن فى منتصف الليل ،
لقد غطت قطرات العرق الباردة الوجلة جسدى المرتجف ،
ولكن من أخاف ؟ نفسى ؟ فليس هنا أحد غيرى
إن رتشارد يحب رتشارد ، إنى أنا هو أنا ،
أهنا من يريد أن يغتالنى ؟ كلا أجل إنه أنا . .
إذن فلأهرب . ولكن أأهرب من نفسى ؟ يا له من سبب ! ولماذا . . .

(١) - كان ذلك عندهم يعنى وجود أرواح فى المكان .

لكىلا أنتقم منها ؟ ولكن أتنتقمنفسى من نفسى ؟
وأسفا إنى أحب نفسى . ولم ؟
ألأى خير قدمته نفسى لنفسى ؟ .
أواه لا . وا أسفى بل ينبغى أن أبغض نفسى
لما اقترفته من آثام .
إنى شرير ولكنى أكذب وأزعم أنى لست كذلك ،
أيها الأحمق أحسن الثناء على نفسك ،
أيها الأحمق لا تتصنع الثناء ! إن لضميرى ألف لسان:
وكل لسان يحكى قصة :
وكل قصة تنطق بأنى شرير .
الخيانة ، الخيانة فى أبشع صورها ،
والقتل ، القتل الأثيم فى أقسى ألوانه .
جرائم مختلفة فى صور متعددة ،
تزدحم كلها فى ساحة القضاء وتصيح: مذنب ، مذنب !
ليس لى إلا اليأس فما من أحد يحبنى ،
وإذا مت فلن يأسى أحد لموتى .
أجل ولمَ يأسَون ،

وأنا نفسى لا آسى لنفسى ؟
لقد خيل إلىّ أن أرواح الذين قتلتهم جميعا
جاءت إلى خيمتى ؛
وتوعّد كل منها بالانتقام
ينصبّ غدا على رأس رتشارد .

(يدخل راتكليف)

راتكليف : مولاى !

الملك رتشارد : رباه ! من هناك ؟

راتكليف : إنه أنا يامولاى . لقد حيا ديك القرية الصباحَ مرتين ،
ونهض أصدقاؤك ولبسوا دروعهم

الملك رتشارد : لقد رأيت حلما مزعجا
أتعتقد أن أصدقاءنا سيثبتون جميعا على ولائهم ؟

راتكليف : بلا ريب يا مولاى

الملك رتشارد : أى راتكليف إنى أخاف . . . أخاف . . .

راتكليف : لا يا مولاى العزيز ، لا تخف من أشباح :

الملك رتشارد : وحق « بولس القديس » لقد ألقت الأشباح
الليلة فى قلب رتشارد
من الرعب ما لا يستطيع أن يلقيه عشرة آلاف
مقاتل ، فى الحقيقة .

مسربلين فى الدروع المحكمة
يقودهم ريتشموند الأحمق .
إن النهار لم يقترب بعد ، فتعال معى
أسترق السمع بين خيامنا
لأرى أينوى أحد أن يخوننى

(يخرجان)

(يدخل النبلاء إلى ريتشموند وهو جالس فى خيمته)

النبلاء : صباح الخير يا ريتشموند !

ريتشموند : معذرة أيها النبلاء والسادة اليقظون
إذ وجدتمونى هنا على تلك الحال من البطء والكسل .

النبلاء : كيف كان نومك أى سيدنا اللورد ؟

ريتشموند : أعذب نوم ، وأيمن أحلام
طافت برأس نائم ،
منذ أن غادرتمونى أى سادتى ، اللوردات .
لقد خيل إلىّ أن أرواح من قتلهم رتشارد
جاءت إلى خيمتى وبشرتنى بالنصر .
وإنى لأؤكد لكم أن البهجة تملأ نفسى
لذكرى ذلك الحلم الجميل .
كم بقى على مطلع النهار أيها السادة ، اللوردات؟

النبلاء : إن الساعة توشك أن تدق الرابعة ،

ريتشموند : إذن فقد حان الوقت لنحمل سلاحنا ، وتهيئ جنودنا للمعركة ،

(خطبته فى جنوده الذين تجمعوا حول خيمته)

أيها المواطنون الأوفياء ، إن هذا الوقت الضيق الحرج
لا يسمح لى أن أقول أكثر مما قلت . ومع ذلك
فلتذكروا هذا :
إن الله وقضيتنا العادلة يحاربان إلى جانبنا ،
ودعوات القديسين الأبرار والأرواح المظلومة تقف
أمام وجوهنا كالمعاقل المنيعة .
وإن من نقاتلهم — ما عدا رتشارد — يؤثرون
أن يكون النصر لنا
على أن يكون لذلك الذى يقودهم .
ومَنْ ذلك الذى يقودهم ، أيها السادة ،
غير طاغية قاتل سفاح ،
رجل نشأ فى الدماء ، وأسس ملكه على الدماء .
رجل يتخذ كل وسيلة للوصول إلى ما يريد .
ثم يقتل كل من كانوا وسيلته إلى غايته .
حجر خسيس جعله عرش إنجلترة نفيسا ،

ذلك العرش الذى يجلس عليه بدون حق .
رجل كان دائما عدوّا لله .
فإن حاربتموه فسيرعاكم الله
بعدله كما يرعى جنده ،
وإن جهدتم الآن لتقضوا على طاغية ،
فستنامون بعد فى سلام حين يقتل ذلك الطاغية .
وإن حاربتم الآن عدو بلادكم ؛
فسيكون من خير بلدكم لجهدكم أجزل الأجر .
وإن حاربتم لتحموا نساءكم ،
فإن نساءكم سيرحبن بعودتكم ظافرين.
وان حررتم أطفالكم من حكم السيف ،
فسيجزيكم أحفادكم فى شيخوختكم .
فباسم الله إذن ، وباسم هذه الحقوق جميعا ،
ارفعوا أعلامكم وأشهروا سيوفكم المتعطشة إلى القتال .
أما أنا فستكون جثتى الهامدة على وجه هذه
الأرض الباردة
فداء لمقصدى الجرىء .
على أنه إن قدر لى النجاح ونلت مقصدى ،
فسينال كل منكم — حتى أدناكم — نصيبه منه .

دقوا الطبول ، وانفخوا فى الأبواق ، فى شجاعة واستبشار ؛
الله والقديس جورج ! ريتشموند والنصر

(يخرجون) (يعود الملك رتشارد وراتكليف مع رفاق وجنود)

الملك رتشارد : ماذا قال نورثمبرلاند عن ريتشموند ؟

راتكليف : قال إنه لا خبرة له بفنون الحرب .

الملك رتشارد : لقد قال حقا . وماذا كان جواب سرى ؟

الملك رتشارد : ابتسم ثم قال : ذلك خير لنا

راتكليف : لقد نطق بالصواب . فالحق أن ذلك خير لنا .

(تدق الساعة)

عد دقات تلك الساعة . أعطنى تقويما . من رأى منكم الشمس اليوم ؟

راتكليف : إنى لم أرها يا مولاى

الملك رتشارد : إذن فهى تأبى أن تشرق ،
فقد كان ينبغى حسب التقويم أن تكون قد أشرقت منذ ساعة
ليكونن يوما أسود عند بعض الناس ! راتكليف!

راتكليف : مولاى ؟

الملك ريتشارد : لن تطلع الشمس اليوم .
فإن السماء تقطب فى وجه جيشنا وتطبق سحبها عليه .
وددت لو أن هذه الدموع الندية كانت من الأرض .
لن تطلع اليوم !
وماذا يعنينى من هذا أكثر مما يعنى ريتشموند ؟
إن تلك السماء التى تعبس فى وجهى ،
تعبس كذلك فى وجهه

(يدخل نورفوك متعجلا)

نورفوك : إلى السلاح ! إلى السلاح يا مولاى — فقد انتشر الأعداء فى ساحة المعركة .

الملك رتشارد : هيا — تحركوا تحركوا — أعدّ جوادى
ادع لورد ستانلى واسأله أن يقدم بقوته ،
وسأقود أنا جنودى إلى السهل حيث أدير المعركة ،
وسأعبئ طليعتى فى خط واحد طويل
من الفرسان والمشاة على السواء ؛
وسيكون رماتنا فى الوسط .
وسيقود دوق نورفوك المشاة ؛
ويقود الفرسان توماس إيرل سرى

وستتبعهما حين يتقدمان
على هذا النحو بقلب الجيش ،
يقيه من الجانبين جناحان من خيرة فرساننا .
هذا هو ما أوصيكم به ، وليعنا القديس جورج .
ما رأيك يا نورفوك ؟

نورفوك : خطة حكيمة أيها الملك الباسل .
لقد وجدت هذه على خيمتى هذا الصباح .
(يريه ورقة)

الملك رتشارد : (يقرأ)« أى جوكى نورفوك ، لا تغرق فى الأمل
فإن سيدك ديكون [١] قد اشتراه رجاله و باعوه[٢] »
هذا من عمل العدو .
اذهبوا أيها السادة كل إلى شأنه ،
فلن تخيفنا أضغاث الأحلام .
إن الضمير ليس إلا كلمة يتداولها الجبناء ،
ُقصد بها أول الأمر أن تخيف الأقوياء ،
فليكن جيشنا القوى ضميرنا ، والسيوف شريعتنا ،
سيروا قدما . وأقدموا شجعانَ على القتال ،

---

(١) جوكى الاسم الشعبى لجون .
(١) وديكون لرتشارد.
(٢) كناية عن الخيانة .

ولتمض هذه الحرب الضروس ، إن لم يكن إلى
النعيم ، فيداً فى يد إلى الجحيم !
(خطبته فى جيشه)
ماذا أقول فوق ما قلت ؟
اذكروا أن من ستلقونهم عصبة من الأفاقين ،
والأوغاد والهاربين من وجه العدالة ،
حثالة من أهل بريتانى والفلاحين الأذلاء .
لفظتهم بلادهم المتخمة
إلى المغامرة اليائسة والهلاك المحقق ،
رأوكم تنامون فى سلام فجلبوا إليكم القلق ،
رأوكم تمتلكون الأرض ، وتنعمون بزوجات جميلات ،
فأرادوا أن يغتصبوا الأولى ، ويدنسوا الأخرى ،
ومنذا الذى يقودهم غير إنسان حقير ،
عاش طويلا فى بريتانى على نفقة أمنا[1] ؟
إنسان ناعم مخنث لم يشعر قط فى حياته بأيسر المشقة ،
فلنجلد هؤلاء الأفاقين وناق بهم إلى البحر مرة أخرى ،
ولنطرد بالسياط تلك الخرق من الفرنسيين الأدعياء ،

(١) يذهب بعض الشراح أن كلمة « أمنا » فى هذا الموضع خطأ صوابه « أخينا » أى صهر رتشارد دوق برجنديا (Burgundy) الذى أعان ريتشموند فى منفاه .

فنردهم وراء البحر إلى حيث كانوا ،
ونجلد هؤلاء السائلين الذين أضناهم الجوع كجرذان ذليلة ،
فسئموا حياتهم وكان حريا بهم أن يشنقوا ، من عوز ، أنفسهم ،
لولا ما يراودهم من أحلام بهذه الغنائم الجزيلة .
إن كان علينا أن نقهر فليقهرنا رجال ،
لا أولاد الزنا هؤلاء من أهل بريتانى ،
أولئكم الذين قهرهم آباؤنا عن عقر دارهم وأذاقوهم الأمرين ،
وأورثوهم عارا سجله التاريخ ،
أسيتمتع هؤلاء بخيرات أرضنا ؟ ويضاجعون نساءنا ويغتصبون بناتنا ؟
(صوت طبول من بعيد)
أصيخوا ! أنى أسمع طبولهم ،
قاتلوا يا سادة إنجلترة ، قاتلوا أيها الرجال البواسل ،
أطلقوا سهامكم أيها الرماة ، صوبوها إلى الرؤوس !
أهمزوا جيادكم الكريمة فى عنف وخوضوا فى الدماء .
ولترع السماء رماحكم المتكسرة . (يدخل رسول)
ماذا قال اللورد ستانلى ؟ أسيقدم بقواته ؟

الرسول : إنه يأبى أن يفعل يا مولاى .

الملك رتشارد : فلتطح رأس ابنه جورج

نورفوك : مولاى ، لقد اجتاز العدو المستنقع .
فلننظر فى أمر موته بعد المعركة .

الملك رتشارد : إن فى صدرى ألف قلب ضخم ،
ارفعوا أعلامنا وشدوا على أعدائنا ،
أى جورج القديس الكريم يا وحى شجاعتنا من قديم
امنحنا بسالة كبسالة تنين هائل ،
إليهم ! وليقم النصر على خوذاتنا !

(يهجمون)

الفصل الخامس

المنظر الرابع

مكان آخر من ساحة المعركة

(ضجة وحركة . يدخل نورفوك مرة أخرى وقوات تقتتل — يقترب منه كاتسبى)

كاتسبى : النجدة يا سيدى نورفوك ، النجدة ! النجدة !
إن الملك يأتى بعجائب فوق طاقة البشر ،
ويلقى كل حملة من الأعداء بحملة مثلها ،
ولكن جواده قتل ، وهو الآن يحارب راجلا ،
ويبحث فى حومة الموت عن ريتشموند .
النجدة أيها السيد الكريم ، وإلا خسرنا المعركة .
(صوت بوق — يدخل الملك رتشارد) .

الملك رتشارد : جواد ! جواد ! مملكتى لقاء جواد !

كاتسبى : تقهقر يا مولاى ، وسأجيئك بجواد .

الملك رتشارد : أيها العبد ، لقد قامرت بحياتى وسأقبل ما يجىء به القدر [1]
يخيل إلى أن فى ساحة المعركة ستة كريتشموند ،
فقد قتلت اليوم خمسة بدلا منه .
جواد ! جواد ! مملكتى لقاء جواد ! (يخرجون)

---

(١) فى الأصل ما يجىء به « النرد » أى الحظ فى اللعب بالنرد .

الفصل الخامس

المنظر الخامس

مكان آخر من ساحة المعركة

(أبواق — يدخل رتشارد وريتشموند يقتتلان . يقتل رتشارد . تقهقر وأبواق — يعود رتشموند وستانلى يحمل التاج ونبلاء كثيرون آخرون)

ريتشموند : حمداً لله ولسيوفكم أيها الأصدقاء المظفرون !
لقد كسبنا المعركة ومات الكلب السفاح .
دربى : أى ريتشموند الشجاع لقد حققت أملنا فيك .
انظر ، ها هو ذا التاج الذى طال اغتصابه
انتزعه من جبين ذلك الشقى السفاح ،
ليزين جبينك .
فضعه على مفرقك ، واستمتع به طويلا .
ريتشموند : أجب دعاءه يا رب السموات المجيد .
ولكن قل لى ، ألا يزال جورج ستانلى الصغير
على قيد الحياة ؟
دربى : أجل يا مولاى وهو الآن فى مأمن فى مدينة لستر .
ولعلنا الآن نستطيع إذا أذنت أن نسير إلى هناك .

ريتشموند : من قتل من أعلام الرجال من الفريقين ؟

دربى : جون دوق نورفوك ، ولتر لورد فيررز[١] ،
وسير روبرت براكنبرى[٢] ، وسير وليام براندون ، [٣]

ريتشموند : فليدفنوا بما يليق بمكانتهم :
ولتعلنوا العفو عمن يعود
مستسلما من الجنود الهاربين ،
وحين نأخذ على أنفسنا العهد
سنوحد بين الوردة البيضاء[٤] والوردة الحمراء ،
فلتبسمى أيتها السماء لتلك الوحدة الجميلة .
كما طال عبوسك لما كان بين هذين الفريقين
من شحناء .
ما أظن أن بيننا خائنا لا يؤمن على هذا الدعاء .
لقد طال بإنجلترة هذا الجنون ، وطالما أثخنت
نفسها بالجراح
وطالما أراق الأخ فى ضلالته دماء أخيه

---

(١) ولتر لورد فيررز Walter Lord Ferrers

(٢) سير روبرت براكنبرى . Robert Brakenbury

(٣) سير وليام براندون William Brandon

(٤) شعار البيتين المتحاربين على ملك انجلترة آل يورك وآل لانكستر .

وقتل الأب فى جهالة ولده ،
واضطر الولد إلى قتل أبيه .
كل هذا فرّق بين يورك ولانكستر
فرقة كانت وبالا عليهما .
والآن فليجمع النسل الحر
لهذين البيتين الملكيين ريتشموند وإلزابث
شمل يورك ولانكستر المتصدع ،
وليكتب الله بفضله
لأولادهما أن يدوم اتحادهما
ويفيضوا على المستقبل السلام السمح ،
والرخاء البسام، والأيام الجميلة السعيدة .
أى ربى الكريم ، اكسر شوكة الخونة ،
الذين يتمنون أن يعيدوا تلك الأيام الدامية ؛
ويريقوا دموع إنجلترة فى أنهار من الدماء .
لا تكتب لهم أن يذوقوا رخاء هذه الأرض ،
فسيطعنون بخيانتهم سلامتها .
الآن برئت جراحنا وعاد السلام ، مرة أخرى ،
فلتطل بيننا حياته . آمين .

(يذهبون)

رقم الإيداع		١٩٩٣/٣٥٦٠
الترقيم الدولى	977 – 02 – 4040 – 0	ISBN

١/٩١/٤١٢
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

تمتاز مسرحيات شكسبير الخالدة بأنها تمزج عبقرية مسرحية وعبقرية شعرية معًا، فقد جمع شكسبير بين حس درامي فذ وشاعرية فائقة بالإضافة الى معرفة بالنفس الإنسانية والسلوك الإنساني بدرجة من العمق والإتساع جعلت من كل مسرحياته صورًا فنية رائعة للحياة الإنسانية.. حلوها ومرها..

ودار المعارف يسعدها أن تقدم للقارئ العربي أعمال شكسبير مترجمة بقلم نخبة من عمالقة الفكر والأدب في العالم العربي لتكتمل بذلك روعة التأليف ودقة الترجمة ومتعة القراءة.